الأب بيير جورجو جانتسا

كنائس الشرق الأوسط
في مسيرتها نحو الوحدة

سلسلة «باب الإيمان»

الإيمان المسيحي

١. «إني أومن، يا رب، ولكن زدني إيمانا» مدخل إلى قانون الإيمان
٢. الإيمانُ المسيحيّ واللامُبالاةُ الدينيّة
٣. الإيمانُ المسيحيّ واللامُبالاةُ الدينيّة في مسيرتها نحو الوحدة
٤. اللهُ أَمْ الإنسان ؟

منشورات مكتبة يسوع الملك
بيت ساحور

مطبعة البطريركية اللاتينية – القدس
بيت جالا – ٢٠١٤

مقدمة

لهذا الكتيب مجالٌ مُحدَّد، هو كنائس الشرق الأوسط، للوقوف عند علاقاتها المتبادلة، انطلاقًا من واقعها الحالي، بغية أن نبين، قبل كل شيء، ما يجمع بينها ويوحّدها (رؤية الجانب الإيجابي)، وما هي نقاط الخلاف بينها إلى الوقت الحالي (رؤية الجانب السلبي)، وما هي الخطوات التي نستطيع ويجب أن نقوم بها للوصول إلى الوحدة الكاملة كما أرادها يسوع (رؤية الأمل)، من غير التخلّي عن التقاليد الخصوصية المشروعة (الرؤية الاستيعابية).

وهذا كلّه نعرضه في فصول قصيرة، وُضعَت عناوينها على شكل اسئلة، هي:

١) ما هي كنائس الشرق الأوسط وكم عدد مؤمنيها؟
٢) ما هي نقاط الوحدة بين جميع المسيحيين في الشرق الأوسط؟
٣) ما هي نقاط الاختلاف التي لا تزال قائمة إلى الآن؟
٤) ما هي أسباب الانقسام في التاريخ؟
٥) على عاتق مَن تقع مسؤولية الانقسامات؟
٦) ماذا يمكن أن نعمل لتعزيز الوحدة؟
٧) ماذا يمكن أن نعمله معًا في الوقت الراهن؟
٨) ماذا لا نستطيع أن نعمله معًا؟
٩) هل يمكن أن ننتقل من كنيسة لأخرى؟ لنتساءل، في ختام هذه الجولة: هل من أمل للوحدة في المستقبل؟

الفصل الأول

ما هي كنائس الشرق الأوسط وما عدد مؤمنيها؟

نظرة عامة

لا يوجد تعريف للشرق الأوسط يُجمِع عليه المختصّون. من جانبنا، نتبنّى طريقة عملية، بعيدًا عن أية خلفية سياسية، ونعني بالشرق الأوسط تلك المنطقة الجغوافية والسياسية التي تشمل ١٨ بلدا، هي: أرمينيا، ايران، تركيا، مصر، العراق، سوريا، لبنان، قبرص، اسرائيل، فلسطين، الاردن، السعودية، الكويت، الإمارات، قطر، البحرين، عُمان، اليمن. في الجدول التالي، نلقي نظرة على سكان كلّ بلد على حدة، وفق آخر الإحصاءات (سنة ٢٠١٣)، ونذكر فيه: اسم البلد، ومساحته، وعدد سكانه، وعدد المسيحيين فيه ونسبتهم المئوية بالنسبة إلى مجمل السكان. ولكننا نلفت النظر هنا إلى أن الأرقام قضية شائكة في الشرق. فالحكومات تميل بالغالب إلى تقليص هذه الأرقام، بينما تميل الكنائس إلى المبالغة فيها. فالأرقام في الشرق ليس لها قيمة حسابية فحسب، بل وقيمة معنوية ايضًا. في كل الأحوال، يعطينا الجدول التالي، أقلّه، فكرة عن عدد المسيحيين في تلك البلدان، من غير أن نجزم بشأن الدقة الحسابية لهذه الأرقام.

البلد	المساحة	السكان	المسيحيون	نسبة المسيحيين
ايران	١,٦٤٨,٢٠٠	٧٦,٧٨٩,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٪٠,٣
تركيا	٧٧٤,٨١٥	٧٦,٠٨١,٠٠٠	٧٤,٠٠٠	٪٠,٠٩
العراق	٤٣٤,١٢٨	٣٥,٤٠٤,٠٠٠	٨٥٠,٠٠٠	٪٢,٥
سوريا	١٨٥,١٨٠	٢٢,١٦٩,٠٠٠	١,٠٥٠,٠٠٠	٪٥
لبنان	١٠,٤٥٢	٤,١٢٧,٠٠٠	١,٦١٠,٠٠٠	٪٣٩
اسرائيل	٢٠,٩١٨	٨,٠٤٧,٠٠٠	٢٦٦,٠٠٠	٪٣
فلسطين	٦,٣٨٥	٤,٤٢١,٠٠٠	٥٨,٠٠٠	٪٠,١٣
الاردن	٨٩,٧٩٤	٦,٥١٧,٠٠٠	٣٩٠,٠٠٠	٪٦
السعودية	٢,١٤٩,٦٩٠	٣٠,١٩٣,٠٠٠		٪٥,٥
الكويت	١٧,٨١٨	٣,٨٥٢,٠٠٠	٤٦٠,٠٠٠	٪١١
الإمارات	٨٣,٦٠٠	٨,٦٥٩,٠٠٠	٤٥٨,٠٠٠	٪٦
قطر	١١,٦٠٧	١,٩١٧,٠٠٠	١٤٤,٠٠٠	٪٨
البحرين	٧٦٢	١,٥٤٦,٠٠٠	٧٤,٠٠٠	٪٥
عُمان	٣٠٩,٥٠٠	٣,٩٤٢,٠٠٠	٧٣,٠٠٠	٪٢
اليمن	٥٢٧,٩٦٨	٢٥,٢٥٢,٠٠٠	٣,٠٠٠	٪٠,٠١٣
مصر	١,٠٠١,٤٤٩	٨٤,٦٠٥,٠٠٠	١٠,٨٩٥,٠٠٠	٪١٣
أرمينيا	٢٩,٧٤٣	٣,٥٠٠,٠٠٠	٣,٣٥٢٠٠٠	٪٩٨,٧
قبرص	٥,٨٩٦	٨٨٨,٠٠٠	٨٥٠,٠٠٠	٪٩٦
قبرص لتركية	٣,٣٥٥	٢٩٥,٠٠٠	١٥,٠٠٠	٪٠,٠٥
المجموع	**٧,٣١٠,٢٦٠**	**٣٩٨,٢٠٤,٠٠٠**	**٢٢,٣١٤،٠٠٠**	٪٦

نلاحظ بسهولة أن المسيحيين يشكّلون، في هذه المنطقة من العالم، أقليّة دينية صغيرة، وهم متواجدون في جميع البلدان المذكورة، ولو بنسب متفاوتة. ويمكن توزيع هؤلاء الاثنين والعشرين مليونًا من المسيحيين على أربع مجموعات رئيسة، أو على «أربع عائلات كنسيّة»، وفق الصيغة التي تبنّاها مجلس كنائس الشرق الأوسط، وهي:

١) الكنائس الأرثوذكسية الشرقية[١]؛
٢) الكنائس الأرثوذكسية؛
٣) الكنائس الكاثوليكية؛
٤) الكنائس الإنجيلية (البروتستنت).

تضمّ المجموعة الأولى الكنائس الأرثوذكسية الثلاث القديمة: الأرمنية، والقبطية، والسريانية[٢]؛ والمجموعة الثانية أربع كنائس: الروم الأرثوذكس في بطريركيات الاسكندرية وأنطاكية والقدس، وأبرشية قبرص؛ والمجموعة الثالثة سبع كنائس كاثوليكية بطقوسها المختلفة: أرمن، كلدان، أقباط، روم كاثوليك، سريان، موارنة،

١) في هذا الكتيب، عندما نستعمل كلمة «الكنائس الشرقية»، فنعني بها الكنائس التالية: القبطية والسريانية والأرمنية الأرثوذكسية.

٢) وإليهم يجب أن نضمّ المسيحيين المغتربين من الكنيسة الحبشية، وارتريا (كما هو الحال في الأرض المقدسة) وسريان مالانكاريين في الهند. وفي الجزيرة العربية، هنالك آلاف من المسيحيين الهنود، البعض منهم من الكنيسة الكاثوليكية، وغيرهم من الكنائس الشرقية. ولكن هؤلاء جميعًا ليسوا أعضاء في مجلس كنائس الشرق الأوسط.

لاتين؛ والمجموعة الرابعة معظم الكنائس الإنجيلية (البروتستنت): أنكليكان (أسقفيين)[٣]، إنجيليين (لوثريين، إصلاحيين، مشيخيين، وغيرهم من الجماعات الصغيرة). ولحد الآن، لم تنضمّ الكنيسة الأشورية الشرقية إلى واحدة من هذه المجموعات، مع أنها من أقدم الكنائس في الشرق الأوسط، وعُرفت سابقًا باسم «الكنيسة النسطورية».

وإذا ما اعتبرنا الطقس الليتورجي، فإن جميع هذه الكنائس تتوزع على ستة طقوس أساسية: الطقس الاسكندري (الأقباط الأرثوذكس والكاثوليك)، الطقس الأنطاكي (السريان الأرثوذكس، والسريان الهنود، والسريان الكاثوليك، والموارنة)، الطقس الأرمني (الأرمن الأرثوذكس والكاثوليك والأرمن الانجيليون)، والطقس الكلداني (الأشوريون والكلدان)، والطقس البيزنطي (الروم الأرثوذكس والروم الملكيون الكاثوليك)، والطقس اللاتيني (اللاتين وأكثرية الكنائس البرتستنتية التقليدية).

يتوزّع مسيحيو الشرق الأوسط على إثنيات متعددة: المسيحيون العرب، والأرمن، والإيرانيون، والقبارصة، والأتراك، ومعظمهم من أبناء المنطقة، ويعود أصلهم إلى القرون الأولى للمسيحية. ولكن العقود الأخيرة شهدت ظاهرة جديدة، وهي هجرة عدد كبير من المسيحيين من أمم أخرى، الذين هاجروا إلى

٣) لا يرضى الانكليكان (الأسقفيون)، وبحق، أن يُدعوا «بروتستنت»، ولكننا هنا نتبنى التوزيعات المتعارف عليها.

الشرق الأوسط واستقرّوا فيها بسبب العمل. وهؤلاء المهاجرون هم: فيلبينيون، وهنود، وسيرالنكيون، وسودانيون، وأحباش، واريتريون، وروس، ورومان... وينتمون إلى كنائسهم الأم، وفق التوزيع بحسب العائلات المذكور أعلاه.

نبذة سريعة لكلٍّ من هذه الكنائس[٤]

لا نستطيع، في هذا الكتيب، ان نتوقف طويلا عند كلٍّ من هذه الكنائس على حدة (وهي ٣٠ كنيسة تقريباً)، بتاريخها وأصلها وبنيتها وليتورجيتها وخصوصياتها الأخرى. نكتفي بنبذة سريعة عن كلّ واحدة.

- **الكنيسة الأرثوذكسية** (وتُدعى أيضا اليونانية بسبب لغتها الأصلية والطقس البيزنطي): في الشرق الأوسط تشمل مؤمني كنيسة قبرص والبطريركيات القديمة: القسطنطينية (اليوم اسطنبول)، وأنطاكية، والاسكندرية، والقدس. وبين هذه الكنائس شركة، تتأسّس على الإيمان والأسرار والاعتراف المتبادل فيما بينها،

٤) تفضّل الكنيسة الكاثوليكية، في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني والوثائق الكنسية اللاحقة، التمييز بين «الكنائس» و«الجماعات الكنسية»، وتحتفظ باسم «كنائس» على تلك الجماعات المسيحية، التي تتمتع بالخلافة الأسقفية، وحافظت على الأسرار السبعة، خصوصا الافخارستيا والكهنوت. وتدعو باسم «الجماعات الكنسية» تلك الجماعات المسيحية التي لم تحافظ على سرّ الافخارستيا، لعدم وجود سر الكهنوت (راجع قرار في الحركة المسكونية، رقم ١٤ و ٢٣). أما هذه الكنائس، من جهتها، فإنها ترفض هذا التمييز، وترغب في أن تُدعى «كنائس». وهذا هو التعبير المسكوني الذي نتبنّاه هنا.

ولكن كلّ واحدة منها تتمتّع باستقلاليّة إداريّة وقانونيّة. ويصل عددهم في الشرق الأوسط إلى مليونين تقريبا، بينما يعدّ الأرثوذكس في العالم ٢٥٠ مليونًا.

- **كنيسة الروم الكاثوليك (الملكيين)**: تشمل مؤمني الكنيسة الكاثوليكية الشرقية التابعة للطقس البيزنطي. وفي الشرق، يطلق عليهم اسم «الروم الكاثوليك»، وتجمعهم بطريركية واحدة، تمتد على أنطاكية والاسكندرية والقدس. يصل عددهم في الشرق الأوسط إلى ٧٠٠,٠٠٠، بينما يصل عددهم في الشتات إلى ٩٥٠,٠٠٠. وبالتالي، فالعدد الإجمالي لمؤمني هذه الكنيسة يصل إلى ١,٦٥٠,٠٠٠. وإليهم يمكن أن نضيف الروم الكاثوليك في أوروبا (٤ ملاين تقريبا) ومؤمني الشتات التابعين لهم في الامريكيتين.
- **الكنيسة المارونية**: يعود اسمها إلى مار مارون (توفي سنة ٤١٠ تقريبًا)، الذي كان رئيس دير في الشمال الغربي من سوريا حيث انضمّ إليه تلاميذ كثيرون. ولقد ازداد عددهم على مدى العصور، وطوّروا هويتهم ككنيسة مستقلة، مع بطريرك. يتواجد العدد الأكبر منهم في الشرق الأوسط، وفي لبنان على وجه التحديد (١،٦٥٠,٠٠٠ تقريبًا). وفي سائر بلدان الشرق الأوسط يصل عدد الموارنة إلى ٩٠,٠٠٠، وفي سائر أنحاء العالم إلى ٣,٤٠٠,٠٠٠.
- **كنيسة المشرق الأشورية**: نشأت هذه الكنيسة في منطقة ما بين

النهرين (العراق) وفي بلاد فارس. دُعيت سابقًا بـ «الكنيسة النسطورية» ومؤمنوها بالنساطرة (نسبةً إلى نسطوريوس). يتواجدون أساسًا في العراق (١٠٠,٠٠٠)، غير أن معظمهم هاجروا إلى امريكا الشمالية (٣٠٠,٠٠٠).

- **الكنيسة الكلدانية والكلدان**: هم، في الأصل، أشوريون، وقد انضمّوا إلى الكنيسة الكاثوليكية، ومقرّهم البطريركي في بغداد، ويعدون اليوم ٢٥٠,٠٠٠ في العراق، و٥٠,٠٠٠ في الشرق الأوسط، وفي العالم ٥٥٠,٠٠٠.
- **الكنيسة السريانية الأرثوذكسية**: إنها كنيسة مستقلّة، تفخر بالانتساب إلى القديس بطرس الرسول الذي ترى فيه أول أسقف لها على كرسي انطاكية. إن رئيسَها الروحي يحمل لقب بطريرك، والحالي منهم هو الرقم ١٢٢ من خلفاء القديس بطرس على كرسي انطاكية. لقد امتازت هذه الكنيسة في الماضي بنشاطها الإرسالي الواسع. أما اليوم، فقد قلّ شأنها من ناحية عدديّة، إذ تعدّ على أكثر تقدير ٤٥٠,٠٠٠ يتوزعون بين الشرق الأوسط والشتات. إلى هذا العدد، يمكن أن نضيف ٢,٥٠٠,٠٠٠ من الكنيسة السريانية المالنكارية في الهند، وهي الإبنة للكنيسة السريانية الأرثوذكسية.
- **الكنيسة السريانية الكاثوليكية**: وهي كنيسة شرقية كاثوليكية تتبع الطقس السرياني. وهي بطريركية مقرّها بيروت، وتعدّ تقريبا ٢٨٠,٠٠٠، منهم ٢٢٠,٠٠٠ في الشرق الأوسط. ويحمل

راعيهم لقب «بطريرك انطاكية للسريان الكاثوليك».

- **الكنيسة الأرمنية**: تعود في الأصل إلى الرسولين برتلماوس وتاداوس، ولكن مؤسّسها الحقيقي هو القديس غريغوريوس الكابادوقي (المتوفي سنة ٣٣٢). في وطنهم الأم، أرمينيا، ينتمي جميع أبنائها إلى الكنيسة الأرمنية الرسولية (٢,٦٠٠,٠٠٠). والرئيس الأعلى يدعي «كاثوليكوس أو بطريرك»، ومقرّه اشمياتزين (أرمينيا)، وينتشر المسيحيون الأرمن اليوم في بلدان كثيرة من العالم ويصل عددهم تقريبًا إلى ٦ أو ٧ ملايين.
- **الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية**: هي كنيسة أرمنية شرقية كاثوليكية، تتبع الطقس الأرمني. يصل عدد مؤمنيها تقريبًا إلى ٦٠,٠٠٠ في الشرق، وإلى ٥٧٠,٠٠٠ في العالم كله. أمّا الكنيسة الأرمنية الانجيلية، فيعود أصلها إلى نشاط المبشّرين البرتستنت الامريكيين في القرن التاسع عشر، ويصل عددهم تقريبًا إلى ٢٠٠,٠٠٠، بين أرمينيا والشتات.
- **الكنيسة القبطية**: يعود أصلها إلى كرازة القديس مرقس الانجيلي في منطقة الاسكندرية من مصر. بالرغم من تقلبات التاريخ والاضطهادات في القرون الأولى، فهي الأكثر عددًا بين كنائس الشرق الأوسط، إذ يصل عدد مؤمنيها إلى ما بين١٠ و١٢ مليونًا في مصر، منهم٢٠٠,٠٠٠ في الشتات.
- **الكنيسة القبطية الكاثوليكية**: هي كنيسة كاثوليكية قبطية تتبع الطقس القبطي، وتعدّ تقريبًا ١٧٠,٠٠٠. أما الكنيسة القبطية

الإنجيلية فهي كنيسة لوثرية، وتعدّ ٣٠٠,٠٠٠.

- **الكنيسة اللاتينية**: تعود بدايتها في الشرق الأوسط إلى الصليبيين في القرن الثاني عشر، وتطوّرت عبر الأجيال اللاحقة بفضل الجمعيات الرهبانية الغربية في بلدان الشرق الأوسط، وأهمها – لعدد مؤمنيها، ونشاطها الرعوي، وعديد مؤسساتها – البطريركية اللاتينية في القدس، التي أعيد انشاؤها في القرن التاسع عشر. يعدّ المسيحيون اللاتين المحليون تقريبًا ١٥٠,٠٠٠. وفي العقود الأخيرة، ازداد عددهم، بسبب هجرة العمالة الاجنبية، فوصل إلى مليونين، خصوصًا في شبه الجزيرة العربية.
- العائلة الانجيلية (البروتستنت): يتواجد، في الشرق الأوسط، العديد من الكنائس البرتستنتية، القديمة منها والحديثة. أما الكنائس القديمة فهي: الكنيسة الانجيلية اللوثرية (أكثر من مليون)، الكنيسة الأسقفية الانكليكانية وكنيسة الاصلاح الكلفينية. أما سائر الجماعات البرتستنتية فتُعرف تحت أسماء كثيرة: كنيسة الله، الكنيسة المعمدانية، كنيسة المسيح، المانونايت... وهم قلّة.

الفصل الثاني

ما هي نقاط الوحدة بين مسيحيي الشرق الأوسط؟

بشكل عام، ولدى الحديث عن الوحدة المسيحية، يغلب الميل إلى إبراز نقاط الخلاف، وهي نقطة انطلاق سلبية وتشاؤمية، وبالتالي غير دقيقة. لماذا نذكر الخطوط المعوجّة قبل الخطوط المستقيمة؟ ينبغي الانطلاق، بالحري، من النقاط الكثيرة المشتركة بين جميع المسيحيين. كتب البابا يوحنا الثالث والعشرون: «يجب أن يفكّر كلّ واحد، لا بما يفرّقنا، بل بما يجمعنا»[٥]. وكتب الطوباوي يوحنا بولس الثاني قائلا: «كثيرةٌ هي القضايا المشتركة بيننا، ولدينا بالأخص مشتركًا التوقُ الصادق إلى الوحدة»[٦].

في الحقيقة، يمكن أن نردِّد مع القديس بولس أنه لدينا «ربٌّ واحد، وإيمانٌ واحد ومعموديةٌ واحدة، وإلهٌ واحد أبٌ لجميع الخلق» (أفسس ٤: ٥–٦). فنحن جميعًا نؤمن بإله واحد وثالوث، خلقنا وأحبنا. وكلّنا نعترف بيسوع المسيح، ابن الله وابن الإنسان، الربّ والمخلّص. وكلّنا قَبِلنا المعمودية نفسها في الثالوث الأقدس، ونفخر باسم «مسيحيين»، ممّا يجعلنا إخوة حقيقيين في المسيح[٧]، فنبارك

٥) البابا يوحنا الثالث والعشرون، **إلى سدّة بطرس** (١٩٥٩).
٦) **نور الشرق**، ٣راجع أيضا **دستور عقائدي في الكنيسة**، ١٥.
٧) بقول المجمع بكل وضوح بخصوص غير الكاثوليك: «ولكنهم لما كانوا قد

الربّ لهذه الهبة العظيمة. وجميعًا نتلو قانون الإيمان نفسه («نؤمن») ونتشارك في جميع بنوده: الله الآب والخالق، ابن الله المتجسد وأسراره الخلاصيّة، الروح القدس وعمله التقديسي، الكنيسة، الحياة الأبدية[٨]. وجميعًا نعترف بالسلطة العليا لكلمة الله في الكتاب المقدس. وكلّنا نحتفل بالسرّين الأساسيين: العماد والافخارستيا. وبشكل من الأشكال، نعترف جميعًا بالكهنوت والخدمة، ولو بصيَغٍ مختلفة. وجميعنا نقدّس يوم الأحد، ونكرم الصليب المقدس. وجميع المسيحيين يرون في الوصايا العشر وانجيل يسوع أساس حياتهم الخلقية. إن الله يمنح لجميع المسيحيين (وليس لكنيسة محدَّدة واحدة) حياة النعمة، والإيمان والرجاء والمحبة، وغيرها من مواهب الروح القدس الداخلية. وما هو مشترك بيننا هو أيضا إكرام الكثير من الشهداء والقديسين، وخصوصًا شهداء العصور الأولى للكنيسة الواحدة وغير المنقسمة، بالإضافة إلى كنوز الحكمة للعديد من آباء الكنيسة. وجميع المسيحيين من الكنائس المختلفة يسعون لعيش الانجيل ونشره بروح رسولية. فالروح الواحد هو الذي يرسل المسيحيين للتبشير في العالم كلّه، ويشدّدهم إلى حدّ بذل الذات من أجل المسيح، عِلمًا بأن جميع الكنائس لديها شهداء، سفكوا دمهم

بُرّروا بالإيمان الذي نالوه في المعمودية، وصاروا به أبناء جسد المسيح، فإنهم بحق يحملون الاسم المسيحي، وبحق يرى فيهم أبناء الكنيسة الكاثوليكية إخوة في الرب» (**الحركة المسكونية**، ٣).

٨) في قانون الإيمان النيقي – القسطنطيني، فالكاثوليك والبروتستنت، عندما يذكرون الروح القدس، يضيفون عادةً «والابن».

في سبيل الإيمان. ومن الحقّ أن نتكلّم اليوم عن «مسكونية الشهداء»، القديمين والحديثين، إلى حدّ أن بعض الكنائس تقترح الاحتفال معًا بذكرى مشتركة للشهداء في يوم واحد من السنة.

إن كلّ هذا يشكل كنْزا عظيمًا يتقاسمة جميع المسيحيين. وإذا أردنا أن ننظر إلى الكميّة، لا إلى الكيفيّة، نستطيع القول إن المسيحيين متوحّدون من ٨٠ إلى ٩٠ بالمئة، وأكثر. ومن المؤكد أن يسوع المسيح يريدنا متحدين في كلّ شيء، مئة بالمئة، مع التذكير بأن هذه الوحدة الكاملة تشمل فقط الأشياء الأساسية والضرورية، وليس الأشياء الخاصّة الثانوية، المتصلة بتقاليد كلّ كنيسة على حِدة. لقد قال أحد الكتاب المسيحيين: «وحدة في الأمور الضرورية، وحرية في الأمور المشكوك فيها، ومحبة فيها كلها».

أخيرًا، ينبغي ألا ينظر أيّ مسيحي إلى نفسه وكأنه فوق الآخرين، لأنه فقط ينتمي إلى كنيسة معينة. فهذا ليس من استحقاقه، بل هبةٌ من الله. يقول القديس بولس لمَن يفخر بنفسه: «فمَن الذي يميّزك؟ وأيّ شيء لك لم تنله؟ فإن كنتَ قد نلته، فلِمَ تفتخر وكأنك لم تنله؟» (١ قورنتس ٤ : ٧). وهذا ما تحذِّر الكنيسة الكاثوليكية نفسها أبناءها منه، عندما تقول: «ليتذكّر جميع أبناء الكنيسة أنهم بنعمة خاصة من المسيح، لا باستحقاقاتهم الذاتية، هم ما هم عليه من الوضع، وإنهم إن لم يتجاوبوا معها بالفكر والقول والاعمال فلن يخلصوا، بل ستكون دينونتهم أشدّ وأعسر»[٩].

٩) **دستور عقائدي في الكنيسة**، ١٤.

الفصل الثالث

ما هي نقاط الخلاف بيننا إلى اليوم؟

تتعلّق نقاط الاختلاف بأربعة مجالات:

١) الإيمان والعقيدة؛

٢) نظام الكنيسة؛

٣) الحياة الخلقية.

ويمكن أن نضيف الأنظمة الكنسية (المجال الرابع)، ولكن هذا الأخير هو من باب الاختلاف المشروع، وليس، في الحقيقة، موضع انقسام.

مجال الإيمان والعقيدة

يتعلّق هذا المجال بحقائق الإيمان المسيحي، وبالتالي بالأمانة لتعليم السيد المسيح وتفسيره الصحيح. وتمسّ هذه الاختلافات جوانب من سرّ الثالوث الأقدس، وسرّ المسيح، وأسرار الكنيسة، وشخص مريم العذراء، والأخرويات، ندخل في تفاصيلها.

– **الثالوث الأقدس**: بخصوص الثالوث الأقدس والعلاقات القائمة بين أقانيم الثالوث الأقدس، أي الآب والابن والروح القدس، القضيّة الخلافيّة هي قضية انبثاق الروح القدس. من ناحية، يقول

الشرقيون والأرثوذكس إن الروح القدس ينبثق من الآب (فقط). ويؤسِّسون ما يذهبون إليه على كلمة قالها يسوع لتلاميذه: «ومتى جاء المؤيّد الذي أرسله إليكم من لدن الآب روح الحق المنبثق من الآب» (يوحنا ١٥: ٢٦). من ناحية أخرى، يقول الكاثوليك والبروتستنت إن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، وهذا ما يعبّرون عنه بإضافة كلمة «والابن» على نص قانون الإيمان[١٠]. إنهم يعترفون بما قاله يسوع في الآية المذكورة أعلاه (يوحنا ١٥: ٢٦)، ولكنهم يستشهدون أيضًا بآيات أخرى من الإنجيل والرسائل يستدلّون بها لتأكيد انبثاق الروح القدس من الآب والابن. فبعض الآيات تدعو الروح القدس صراحةً، «روح المسيح» (١ بطرس ١: ١١)، و»روح الربّ» (أعمال الرسل ٥: ٩)، و»روح يسوع» (رومة ٨: ٩–١١)، الذي «يأخذ» من الابن (راجع يوحنا ١٦: ١٥). ويسوع نفسه يقول إن الآب سيرسل الروح القدس بناءً على صلاته (راجع يوحنا ١٤: ١٦) وباسمه (راجع يوحنا ١٤: ٢٦). والسيد المسيح، القائم من بين الأموات، ينفخ في تلاميذه ويمنحهم الروح القدس (راجع يوحنا ٢٠: ٢٢). والكتاب المقدس يتحدث عن «نهر ماء الحياة» (وهو رمز الروح القدس في إنجيل يوحنا)، الذي «ينبثق من عرش الله والحمل» (رؤيا ٢٢: ١). وحتى اليوم،

١٠) جاءت هذه الإضافة رسميًا ولأول مرة فقط سنة ١٠١٤، عندما أدخلها البابا بندكتس الثامن في قانون الإيمان، تحت ضغط الامبرطور الجرماني هنري الثاني، الذي تُوِّج في روما، ومن ثمَّ انتشرت في كل العالم الغربي.

لا يزال هذا الجدل قائمًا، ولو أن التفاهم المتبادل بين الكاثوليك والأرثوذكس يزداد باضطراد.

– **السيّد المسيح**: بخصوص شخص السيد المسيح، تؤكد جميع الكنائس أن يسوع هو إله حق وإنسان حق، ولكن الخلاف لا يزال قائما حول كيفية الوحدة بين الناسوت واللاهوت. بشكل عام، تستعمل الكنائس هذا التعبير: يسوع المسيح هو أقنوم (أي شخص) واحد في طبيعتين. وهذا ما يؤكده الأرثوذكس والكاثوليك والبرتستنت. وهذا يعني أن طبيعة السيد المسيح الإلهية وطبيعته الإنسانية متحدتان بشكل يجعل منهما كائنًا واحدً أو أقنومًا واحدًا لا انقسام فيه. أما الأقباط والأرمن والسريان الأرثوذكس فيقولون إن السيد المسيح شخص (منبثق) من طبيعتين، الإلهية والإنسانية. في المسيح التاريخي والحقيقي، تتحد الطبيعتان بشكل فريد وبدون تمييز، إلى حد أنهما يشكلان طبيعة واحدة. في السنوات الأخيرة، عُقدت عدة مؤتمرات حول هذا الموضوع، أدّت، في آخر الأمر، إلى النتيجة بأن جميع الكنائس تعترف بحقيقة إيمان واحدة حول السيد المسيح، الإله الحق والإنسان الحق، وهو كائن إلهي–إنساني فريد، ولكنّها تختلف حول التعبير عن هذه الحقيقة. بكلمة أخرى: إن جوهر الإيمان واحد، والتعبير عنه مختلف. بالإضافة إلى ذلك، يُقال عادةً بأن كنيسة المشرق الأشورية تتبع اليوم تعاليم نسطوريوس، الذي أدانه مجمع أفسس (٤٣١)، والذي يبدو أنه ذهب إلى القول إن في يسوع المسيح اقنومين وطبيعتين. ولكن هذه الكنيسة تدافع

عن نفسها وتقول إنها ليست بنسطورية، ويجب ألا يطلق عليها اسم نسطورية، لأنها، هي أيضًا، تعترف بأن يسوع إله كامل وإنسان كامل، مع العلم بأن لاهوتييها، لدى تفسيرهم لسرّ وحدة السيد المسيح، يستعملون تعابير مختلفة، من منطلق خلفيتهم الثقافية والفلسفية، بينما يبقى جوهر العقيدة واحدًا.

– **الأسرار المقدسة**: إن الأسرار المقدسة هي أكثر النقاط اختلافًا بين المسيحيين. من المعروف أن الكنائس الشرقية والأرثوذكسية والكاثوليكية تؤمن بسبعة أسرار وتمارسها، وتعتبرها علامات خلاصية أسّسها السيد المسيح نفسه، ليقدّس بها الحياة المسيحية كلها، وهي: العماد، والتثبيت أو الميرون، والافخارستيا، والتوبة، والكهنوت، والزواج، ومسحة المرضى. أمّا بعض كنائس العائلة البروتستنتية، فتعترف بسرّين منها (العماد والافخارتسيا)، أو ثلاثة (أيضًا الكهنوات)، أو أربعة أو خمسة، ويميّزون بين أسرار أساسية (العماد والافخارستيا والكهنوت) وأخرى يعتبرونها ثانوية. وثمة مشكلة بخصوص وجود السيد المسيح في الافخارستيا، حيث نجد أن العديد من الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، والأرثوذكسية والكاثوليكية، والانكليكانية واللوثرية، تؤمن بالحضور الحقيقي للسيد المسيح في الافخارستيا، وأن الافخارستيا هي تقدمة وذكرى وذبيحة وشركة. ولكن معظم الكنائس البرتستنتية تؤكد أن هذا الحضور هو حضور رمزي ومحيي، وأن الافخارستيا هي مجرّد ذكرى لعشاء الرب.

– **الحياة الأبدية**: هنالك اختلافات بين الكنائس المسيحية حول الحياة الأخرى، وهي الحقائق المرتبطة بالحياة بعد الموت، وعلى وجه التحديد ما يتعلق منها بالمصير الفردي (الموت، الدينونة الخاصة، المطهر، جهنم، السماء...)، وما يتعلق بالمصير الجماعي (نهاية الأزمنة، قيامة الجسد، الدينونة العامة، الحياة الأبدية). فبينما تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالمطهر، فإن الكنائس الأخرى (الأرثوذكسية والبروتستنتية) تنكره بشكل عام. تعترف الكنائس الأرثوذكسية والكنائس الشرقية بالدينونة الخاصة، أي دينونة كلّ واحدٍ مباشرةً بعد الموت، بينما يتحفّظ غيرها (خصوصا الكنائس البرتسيتنتية) عليها أو يرفضونها كليّة. ومن الكنائس البروتستنتية ما يتحدث عن «ملك ألفيّ للمسيح»، وعن القيامة الأولى والقيامة الثانية، وغيرها لا تعترف بجهنم، لأنهم يعتقدون أن الأشرار سيُدمَّرون كليّة ويتلاشون.

– **مريم العذراء**: ثمة موضوع خلاف عقائدي آخر بين الكنائس المسيحية، وهو شخص مريم العذراء. تعلن الكنائس الشرقية القديمة والكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية، أن مريم العذراء هي والدة الإله[١١]، الدائمة البتوليّة، والكليّة القداسة، والبريئة من الخطيئة الأصلية، ويكرمونها بالقاب كثيرة جميلة ويرفعون الصلاة إليها بكل تقوى بنويّة، طالبين شفاعتها. وبينما يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس أن مريم العذراء نُقلت إلى السماء بالنفس والجسد، فإنهم يختلفون حول عقيدة الحبل بلا دنس، أو أقلّه حول تفسيرها

١١)تفضل الكنيسة الأشورية استعمال تعبير «مريم، أم المسيح ابن الله».

وطريقة إعلانها من قِبَل البابا، أسقف روما. يعترف البروتستنت بعظمة مريم بصفتها أم يسوع الإله الإنسان، ولكنهم لا يكرمونها ولا يحتفلون بها[١٢]. إنهم لا يرفعون الصلوات لمريم العذراء والقديسين ولا يطلبون شفاعتهم، لأنهم لا يعتقدون بوجود وسطاء أو شفعاء، بحسب الكتاب المقدس الذي يقول: «لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو إنسان، أي المسيح يسوع» (١ طيموتاوس ٢: ٥). بشكل عام، يعترف البروتستنت بمريم العذراء أم الله وأنها حبلت بيسوع المسيح بطريقة بتولية، ولكن الكثير من الكنائس لا تعترف ببتولية مريم العذراء الدائمة، وبالتالي لا يعترفون بعقيدتي الحبل بلا دنس وانتقال مريم إلى السماء.

– **الكتاب المقدس**: واخيرًا، ثمة فروقات بين الكناس المسيحية بشأن لائحة أسفار الكتاب المقدس، وطريقة تفسيرها. جميع الكنائس تعتبر الكتاب المقدس كلمة الله التي أوحيت للأنبياء، والتي تجد تجسّدها النهائي في يسوع المسيح، صوت الآب. ولكن الاختلاف يكمن بين الكنائس بشأن قانون الكتاب المقدس، أي لائحة أسفار الكتاب المقدس. بينما يتمسك الكاثوليك والأرثوذكس بـ ٤٦ سفرًا مُلهَمًا في العهد القديم، فإن البروتستنت يعترفون فقط بـ ٣٩ منها. فهم لا يعترفون بالكتب التي أُقرّ الهامها في مرحلة لاحقة من تاريخ الكنيسة. أما بالنسبة إلى العهد الجديد، فجميع الكنائس تعترف

١٢)فقط الكنيسة الانكليكانية (الكنيسة العليا) تكرم مريم العذراء وترفع الصلوات إليها.

باسفاره الـ ٢٧. بالإضافة إلى ذلك، لا يجمع كلهم حول معايير تفسير الكتاب المقدس، وتجيب الكنائس بطريقة مختلفة على الأسئلة التالية: مَن يُفسِّر؟ كيف يُفسّر؟ يعتقد الكاثوليك والأرثوذكس أن الكنيسة الحيّة هي المؤتَمَنَة على الكتاب المقدس، وبالتالي يدعون إلى تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة، بحسب تقليد الرسل والآباء. أما البروتستنت، فإنهم يميلون نحو الاتكال على الالهام الشخصي الذي يمنحه الروح القدس لجميع المؤمنين في العماد.

– **مرجعية الحقيقة**: هنالك نقطة اختلاف أخرى حول مرجعية الحقيقة، اي مَن هو، باسم المسيح المعلّم، صاحب القرار بخصوص قضية إيمانية وأخلاقية. لدى البروتستنت، لا توجد سلطة مركزية أو تعليمية، وهذا هو السبب الذي يجعل أجوبتهم، في كثير من الأحيان، حول عقائد الإيمان وتوجيهات الحياة الخلقية، متضاربة. أما الكنيسة الكاثوليكية، فإنها تعترف بالسلطة العليا للمجمع المسكوني وبالسلطة العليا للحبر الروماني (تحت شروط معينة)، بشأن مواضيع الإيمان والحياة الخلقية. أمّا الكنائس الأرثوذكسية فتعترف بسلطة المجامع المسكونية[١٣].

١٣)بما أن الكنائس الأرثوذكسية لا تعترف إلا بالمجامع المسكونية السبعة الأولى، فهي تحب أن تعرّف نفسها بـ «كنيسة المجامع السبعة»، وهي التالية: نيقية (٣٢٥)، القسطنطينية١ (٣٨١)، أفسس (٤٣١)، خلقيدونية (٤٥١)، القسطنطينية٢ (٥٥٣)، القسطنطينية٣ (٦٨٠–٦٨١)، نيقية٢ (٧٨٧). أما الكنائس الشرقية القديمة (الأقباط والسريان والأرمن) فلا يعترفون إلا بالثلاثة الأولى، والكنيسة الأشورية فقط بالاثنين الأولين.

مجال نظام الكنيسة

السؤال هو: كيف أراد السيد المسيح كنيسته؟ ما هي بنية الكنيسة؟ ما هي ميزاتها؟ ما هي السطة التي منحها إياها؟ ما هي الخدَم التي أسسها بشكل دائم وثابت؟ على هذه الأسئلة، تقدّم الكَنائس أجوبة مختلفة باختلاف تفسيرها للكتاب المقدس ومن منطلق التقاليد المختلفة في الزمان والمكان. وبناءً عليه، وعلى مدى التاريخ، طوّرت الكنائس المسيحية نموذجا كنسيّا ليس متشابها ولا يسير على نمط واحد. إن حقيقة الأمر هو أن كلّ كنيسة غُرست في منطقة معينة ووسط شعب معين، عاشت هذا الانغراس بطريقة خاصّة بها[١٤]. ولكن هذا التجسّد الثقافي لم يَحُل، وعلى مدى الأجيال، دون أن يعتبر الجميع الكنيسةَ كنيسةَ المسيح الواحدة ودون اعتبار جميع الكنائس كنائسَ شقيقة فيما بينها. فبعض عناصر التنوّع لا تنفي وحدة الكنيسة، لا بل تؤكد جمالها وغناها.

ولقد اعترف المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢–١٩٦٥) بهذا التنوع في مفهوم النظام الكنسي وتطوّره في الشرق والغرب. ففي الوثيقة حول الحركة المسكونية، نقرأ: «إنه منذ بضعة قرون يتبع كلٌّ من كنائس الشرق والغرب طريقه الخاص، ومع ذلك كانت هذه الكنائس متحدة بالشركة الأخوية في الإيمان وحياة الأسرار. وكانت، إذا نشبت بينها خلافات في العقيدة أو في النظام، يستخدم

١٤)هذا ما ندعوه «التجسد الثقافي» الذي ينطوي على حركتين: ترجمة الانجيل في الثقافات المتعددة من جهة، وتشرّب الانجيل لهذه الثقافات، من جهة أخرى.

الكرسي الروماني سلطته بموافقة الجميع»[١٥]. وبالتحديد، حافظت جميع الكنائس الشرقية والأرثوذكسية والكاثوليكية بالخلافة الأسقفية من خلال الرسامة الأسقفية، مما يجعل النظام أو الدستور الكنسي يتأسّس على البنية البطريركية أو الأسقفية. فالأسقف يمتلك ملء الكهنوت، والكهنة هم معاونوه، والشمامسة مساعدوه، على أساس درجات الكهنوت الثلاث: الأسقفية والكهنوت والشماسيّة. يؤمِّن الأساقفة الخلافة الرسولية، وينقلونها لخلفائهم، عندما يمنحونهم درجة الأسقفية ويسلّمونهم وديعةَ الإيمان. وكانت جميع هذه الكنائس الخاصة في شركة فيما بينها، عن طريق الاعتراف المتبادل بالخلافة الرسولية، وعن طريق الأسرار عينها والإيمان عينه.

ولكن هذه الوحدة كُسرت في أكثر من مرحلة في تاريخ الكنيسة، لا بسبب الخصوصيات المشروعة، بل بسبب الهرطقات والانشقاقات ونزعات الاستقلال. صحيح أن جميع هذه الكنائس تعترف بقانون إيمان واحد وتعلن: «نؤمن بكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية»، ولكنها تختلف حول معاني هذه الكلمات وتطبيقاتها. نتوقّف عند كلٍّ واحدة منها.

– **واحـدة**: تفسّر الكنائس وحدة الكنيسة بطرق مختلفة. تجمع الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الشرقية والأرثوذكسية على أن وحدة الكنيسة تعتمد على ثلاثة عوامل أساسية، وردت في آية أساسية في سفر أعمال الرسل، وهي التي تؤكد أن المؤمنين كانوا

١٥) **الحركة المسكونية**، ١٤.

مواظبين على تعليم الرسل (العامل الأول) والمشاركة (العامل الثاني) وكسر الخبز والصلوات (العامل الثالث)» (راجع أعمال الرسل ٢: ٤٢). وبالتالي: وحدة الإيمان، ووحدة الشركة الأخوية، ووحدة الأسرار. ويوضح الكاثوليك، على خلاف الكنائس الأخرى، أن لهذه الشركة الأخوية مركزها الجامع المنظور في الخبر الروماني، أسقف روما الذي يحتفظ بـ «بالأولوية في المحبة»، بصفته نائب المسيح على الأرض، مع التأكيد أن المسيح هو الرئيس الأزلي للكنيسة، جسده السري. أمّا بحسب بعض اللاهوتيين الانكليكان، فالكنيسة واحدة، ولكن كشجرة لها فروع كثيرة. والكنائس المختلفة هي بمثابة الفروع للشجرة الواحدة، التي هي المسيح. ويرى البروتستنت، أن وحدة الكنيسة ترتكز على المسيح الواحد، رئيسها الوحيد والمعصوم عن الخطأ، لأن الكنيسة هي جسده الوحيد (راجع قولسي ١: ١٨)، وبالتالي، فهي ليست بحاجة إلى رؤساء على الأرض. وما رعاة الكنيسة إلا مجرّد خَدَم، مدعوين ومعينين لممارسة هذه الخدمة، وبينما يرى غيرهم من البروتستنت أن وحدة الكنيسة هي وحدة غير منظورة، والله وحده يعرف من ينتمي إلى كنيسته.

– **مقدسة**: تفسّر الكنائس قداسة الكنيسة بطرق مختلفة. يؤكد الكاثوليك والأرثوذكس أن الكنيسة هي دائما مقدسة، وتبقى كذلك، ولو كان أبناؤها خطأة. في الكنيسة، يعيش القديسون والخطأة، ويبقى الخطأة أعضاء للكنيسة، ولكنهم أعضاء غير

كاملين، وبالتالي، بحاجة إلى شفاء وخلاص. والكنيسة، من جهتها، تدعوهم إلى الاهتداء وتساعدهم عليه. أما البروتستنت، فإنهم يؤكدون أن الإنسان هو «في الوقت عينه، بارّ وخاطئ»، حتى بعد المعمودية، وهو بحاجة دائمة إلى الخلاص. ولهذه تبقى الكنيسة بحاجة دائمة إلى الإصلاح.

– **جامعة**: وتفسّر الكنائس جامعيّة الكنيسة بطرق مختلفة أيضًا. بالنسبة إلى الكاثوليك والأرثوذكس، الكنيسة هي جامعة، بمعنى أن فيها كمال الإيمان ووسائط الخلاص، التي نقلها إليها السيد المسيح. وهي جامعة أيضًا، بمعنى أنها مرسلة إلى جميع الشعوب في كل زمان ومكان. بالنسبة إلى البروتستنت، الكنيسة هي جامعة، لأنها تجمع كل الذين يؤمنون بالله الواحد والثالوث وأن يسوع هو ابن الله والمخلص الشامل.

– **رسولية**: وأخيرا، تفسّر الكنائس رسوليّة الكنيسة بطرق مختلفة. بشكل عام، تعني رسوليّة الكنيسة خلافة الرسل، الذين هم أعمدة الكنيسة، والأمانة على تعليمهم وعلى الشركة وعلى أحكام الكنيسة. وعلى وجه التحديد، تفسّر الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية، رسوليّة الكنيسة وعيشها بطريقة مختلفة. يقول الأرثوذكس إن جميع الأساقفة متساوون في السلطة والكرامة، لأنهم جميعًا خلفاء جماعة الرسل، وبالتالي، جميع الكنائس الخاصة و المحلية هي متساوية، من غير أن تكون واحدة منها أعلى من الأخرى. صحيح أنه يوجد بطاركة على رأس الكنائس، ولكن لهؤلاء فقط سلطة قانونية (الإدارة

الكنسية) على منطقة ولايتهم. أما الكنيسة الكاثوليكية، فتؤكد وجود خلافة بطرسية ضمن الخلافة الرسولية. يتعبير آخر، كما كان بطرس رئيس جماعة الرسل، هكذا أسقف روما، وهو خليفة بطرس، هو الأول بين أساقفة الكنيسة الجامعة، وهذه الأولويّة هي أولويّة محبة وخدمة بالطبع، ولكنها أيضًا أولويّة سلطة وولاية. وحتى اليوم، لا تزال هذه السلطة الجامعة موضع خلاف بين الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية. وأخيرا، يعتقد البروتستت أن الكنيسة رسولية بقدر ما تبقى أمينة على الإنجيل وتعليم الكتاب المقدس. وما الرسامة أو التكريس عن طريق وضع الأيدي على اسقف أو على أي راع هي علامة خارجية للرابط مع الرسل. وبالتالي، فإن معظم الكنائس البرتستنتية لا تعتبر الرسامة سرّا أو تكريسا، بل تعيينا.

مجال الحياة الخلقية

من الملاحظ اليوم أن رقعة الخلاف تتسع يومًا بعد يوم بين الكنائس حول تفسير الخلقية المسيحية وممارستها. صحيح أن جميع الكنائس تعتبر الوصايا العشر والإنجيل قاعدةً للسلوك المسيحي. ولكن الأمر يختلف عندما نصل إلى التطبيقات العملية في كثير من المجالات التي لا نجد تحديدًا صريحًا لها، فتقدّم الكنائس لها حلولا مختلفة، لا بل متناقضة. وهذا التضارب واضح خصوصًا في المجالات التالية: الحياة البشرية، الحياة الزوجية والعائلية، الحياة الجنسية، الحياة الاجتماعية.

– **خلقيّة الحياة**: في مجال الحياة الإنسانية، لا يوجد إجماع بين الكنائس حول تحديد النسل والاجهاض. بالنسبة إلى الإجهاض، تعارضه جميع الكنائس تقريبًا، وتدينه على أنه عملية قتل وتعتبره خطيئة جسيمة، لأن الحياة هي ملك الله والله وحده يتصرّف بها. ولكن بعض الكنائس (كالانكليكان والبرتستنت) يجيزون الاجهاض في بعض حالات الخطر، ويتركون للضمير الشخصي مسؤولية هذا القرار الثقيل. وثمة بعض الكنائس التي تعارض هبة الأعضاء وزرعها، وأخرى تقبل بالموت الرحيم. أما الحكم بالإعدام، فتتنوّع بشأنه المواقف.

– **الحياة الزوجية والعائلية**: وهنالك أيضًا اختلافات كبيرة بين الكنائس المسيحية حول الحياة الزوجية والعائلية. ويزداد عدد الكنائس في الغرب، من بروتستنتية وانكليكانية، التي تبيح الزواج بين المثليين، ويباركونه، ووصل بها الحد إلى سيامة أشخاص (رجالا ونساء) يعلنون أنهم مثليون. وهنالك كنائس تسمح باستعمال الوسائل الاصطناعية لمنع الحمل والاجهاض، واللجوء إلى الإخصاب الاصطناعي، من خلال وسائل متنوعة. أما بالنسبة إلى الطلاق، فمن المعروف أن الكنيسة الكاثوليكية هي الوحيدة التي لا تجيز الطلاق، بينما تقبل جميع الكنائس الأخرى، أورثوذكسية وبروتستنتية، ببعض امكانات الطلاق، تتسع وتضيق من كنيسة لأخرى.

– **الحياة الجنسية**: ثمة أيضًا الكثير من الاختلافات حول الحياة الخلقية في مجال الجنس. على وجه الخصوص، تنظر الكنائس بطريقة مختلفة

إلى فضيلة العفة، والعادة السرية، والعلاقات الجنسية قبل الزواج، والعلاقة الجنسية بين المثليين.

– **الحياة الاجتماعية**: أما بشأن الحياة الاجتماعية، فبعض الكنائس توجّه لمؤمنيها تعليمات بخصوص التصرّف في الحياة السياسية، والاقتصادية، وفي مجال العلاقات بين الدول، والتعامل مع خيرات الأرض (سلامة الخليقة)[١٦]. أما غيرها، فتترك هذه المجالات للضمير الشخصي لكل مؤمن والتزامه.

ملحق: الاختلافات في بعض العادات والتقاليد بين الكنائس

السؤال هو: هل اختلاف العادات والتقاليد يتناقض مع وحدة الكنيسة؟ وجوابنا السريع هو: لا. فنحن هنا في مجال العادات والأعراف والقوانين الخاصة لكلّ كنيسة خاصة، التي يمكن أن تكون مختلفة (وهي مختلفة في الواقع)، ولكنها لا تشكّل، بحد ذاتها، نقطة انقسام. فكل شعب أو أمة أو بيئة معينة تقبل المسيحية بكاملها، ولكنها تطبّقها وفق ثقافتها الخاصة. وهذا يشمل العادات، واللغة، والتعبير ببعض الحركات الخارجية، والطقوس، والتعبيرات الفنية والأدبية، ألخ. يؤكد المجمع الفاتيكاني الثاني: «لا يخالف البتة (إذن) وحدة الكنيسة أن يكون فيها تنوّع في المناهج والعادات، بل إن مثل هذا التنوع عنصر يزيد من جمالها، وعون لها

١٦) في الكنيسة الكاثوليكية، نشر المجلس الحبري «العدالة والسلام» سنة ٢٠٠٤ «**ملخص تعليم الكنيسة الاجتماعي**». والكنيسة الأرثوذكسية الروسية أصدرت سنة ٢٠٠٠ وثيقة حول «**أسس المفهوم الاجتماعي**».

ثمين على تأدية رسالتها»[١٧]. وهذا ما يجد صداه في قول البابا يوحنا بولس الثاني، حيث يقول: «إن التنوع المشروع لا يناقض البتة وحدة الكنيسة، لا بل ينمّي مكانتها ويسهم بوفرة في اتمام رسالتها»[١٨]... نعطي بعض الأمثلة.

– **الاحتفال بالأسرار**: إن طريقة الاحتفال بالأسرار (والتي ندعوها الرتب الليتورجية) تختلف من كنيسة لأخرى، في بنيتها، ومحتواها، وأزمنتها، وأمكنتها، وحركاتها، ولغاتها. نتوقف عند كلّ سرّ على حدة. بخصوص العماد بالماء، يتم بالتغطيس عند بعض الكنائس، وعند أخرى بصبّ الماء أو رشّه. وهذه الاختلافات لا تمسّ الوحدة، على اساس أن جميع الكنائس تمنح العماد باسم الثالوث الأقدس، وتستعمل الماء لهذه الغاية[١٩]. أمّا التثبيت أو الميرون، فإنه يُمنح في الكنائس الشرقية مباشرةً بعد العماد، وبالتالي يقوم به الخادم نفسه، سواء أكان أسقفًا أو كاهنًا، بينما نجد أن الخادم الاعتيادي، في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، لمنح سر التثبيت هو الأسقف، الذي يمنح التثبيت للمؤمنين في سن الرشد (بعد ٨/٧، من عمرهم). بالنسبة إلى الافخارستيا، تستعمل بعض الكنائس الخبز المُخمّر،

١٧) **الحركة المسكونية**، ١٦.

١٨) **ليكونوا واحدا**، ٥٠.

١٩) لهذا السبب، لا تعتبر الكنائس شهود يهوه جماعة مسيحية، لأنهم لا يؤمنون بالثالوث الأقدس وفق تعاليم السيد المسيح. ويمكن أن نلاحظ أيضًا أن المعمدانيين (وغيرهم) يمنحون العماد فقط للبالغين، وليس للأطفال، بينما تمنح جميع الكنائس الأخرى العماد للأطفال.

بينما تستعمل كنائس أخرى الفطير (الكاثوليك، والأرمن، واللوثريون، والانكليكان...)، ويتمّ منح التناول على الشكلين (الخبز والخمر المكرسين) أو بشكل واحد (فقط الخبز). وثمة تنوّع في طريقة الاحتفاظ بالافخارستيا ومكانها، من كنيسة لأخرى: بيت القربان، أو في كنيسة صغيرة، أو في إناء على شكل حمامة معلقة فوق الهيكل. بشأن التوبة، يتم الاحتفال بها بشكل جماعي أو فردي، في كرسي الاعتراف أو في غرفة مجاورة للكنيسة، أو في أي مكان آخر (في حالة الضرورة). بالنسبة إلى الكهنوت، القانون المتبع اليوم في الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية هو منح الكهنوت فقط لرجال يقبلون البتولية، بينما تقبل الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والأرثوذكسية منح الكهنوت لرجال متزوجين، بينما تختار الاساقفة من بين الكهنة الرهبان. بشأن الزواج، يتمّ الاحتفال بالزواج بطرق مختلفة في الكنائس المختلفة.

– **التقوى الشعبية والفن الكنسي وغيرها**: أما تعبيرات التقوى الشعبية فمختلفة: الصلوات، الحركات، إشارة الصليب، الركوع أو الانحناء أو التقبيل، الأيقونات، التعبدات، التطوافات، الصيام... أما التنوع في الفن المقدس (الكنائس، الكاتدرائيات، البازيليكات، الصلبان، الصور، الرسومات، التماثيل)، فإنها تعكس ثقافات مختلف الشعوب. وأيضا ثمة تنوّع الموسيقى والترنيم الليتورجي: فبعض الكنائس تستعمل الأدوات الموسيقية، وغيرها لا. وهذه كلّها لا تتنافى مع وحدة الكنيسة.

الفصل الرابع

ما هي أسباب الانقسامات في التاريخ؟

إن أسباب الانقسامات كثيرة ومتنوعة في التاريخ، ولها علاقة بالظروف، والأشخاص، والأمكنة، والمواضيع، و يمكن أن نختصرها بثلاثة أسباب رئيسة، اثنين منهما ذات طبيعة لاهوتية، وواحد لا صله له باللاهوت. أما العامل اللاهوتي الأول، فيعود إلى النقاشات الكبيرة حول السيد المسيح (هويته، طبيعته...)؛ والعامل اللاهوتي الثاني يتعلّق بالكنيسة (طبيعتها، بنيتها، سلطتها...). أما العامل الثالث غير اللاهوتي، فهو العامل القومي والنَزعة نحو الاستقلال والانعزال، بالإضافة إلى تدخّل السلطات السياسية. ويكشف التاريخ أيضًا أسبابًا أخرى قد تكون طفيفة، ولكنها أضرّت بالوحدة: الضغوطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التنافس على السلطة، وقضايا تتعلق بالترتيبات الليتورجية، والرغبة في الإصلاح، وغياب الحوار، والتفسير الفردي للكتاب المقدس. نتوقف عند العوامل الثلاثة الرئيسة المذكورة أعلاه.

الجدل حول السيد المسيح

شهد القرن الخامس جدلا واسعًا حول السيد المسيح. و لم يكن الجدل، في الحقيقة، حول هويّة السيّد المسيح، اي من هو يسوع،

بقدر ما كان حول كيف هو يسوع. لقد حُسم الجدل حول هوية السيد المسيح، في وجه الهراطقة، فاتفقت جميع الكنائس على الإقرار بألوهيّة السيّد المسيح وناسوته. ولكن الاختلاف تركز فيما بعد على التعابير والصيغ المقترحة لتفسير الوحدة التي لا تنفصم في السيد المسيح. ولقد أدّى الجدل حول هذا السر السامي إلى قيام ثلاث مجموعات، لم تكن على استعداد للقبول المتبادل أو للتفاهم عن طريق الحوار الحقيقي، لأن كل مجموعة كانت تستعمل تعابير فلسفية ولاهوتية مختلفة، وبالتالي وجدت نفسها في حالة مواجهة. وهذه المجموعات هي (كما دُعيت فيما بعد): ١) النساطرة؛ ٢) أتباع الطبيعة الواحدة (السريان اليعاقبة، الأقباط، الأرمن)؛ ٣) الملكيون الخلقدونيّون. إتّهم كلّ طرف الآخر بعدم فهم سرّ السيد المسيح والتعبير عنه تعبيرًا صحيحًا، لا بل راحوا يتهم بعضهم بعضا بالهرطقة، اي الخروج عن الإيمان. وهكذا، نشأت الانقسامات الكبرى الأولى.

نتوقف عند هذه الأسباب بمزيد من التفاصيل. تعرّضت وحدة الكنيسة الجامعة للانقسام الأول، نتيجةً للتعاريف اللاهوتية لمجمع أفسس (٤٣١)، التي لم تقبل بها كنيسة المشرق (المعروفة أيضًا باسم كنيسة بلاد الفرس)، بسبب تمسّكها بتعاليم آبائها ولاهوتييها. وهكذا نشأت الكنيسة النسطورية، كما دعتها الكنائس الأخرى، لاتباعها تعاليم نسطوريوس، التي وُصفت بالهرطقة، لأنه علّم بأنه لا يجوز اطلاق اسم «والدة الإله» على مريم العذراء، بل «أم المسيح» أو «أم ابن الله».

وأصاب وحدةَ الكنيسة لاحقًا جرحٌ جديد نتيجة لتعاريف مجمع خلقديونية (٤٥١) اللاهوتية. فقد اعترفت «الكنيسة الكبرى» (القسطنطينية وروما) بالطبيعتين في المسيح (أقنوم واحد وطبيعتان، أي طبيعتان في أقنوم واحد)، بينما انفصل عنها اصحاب الطبيعة الواحدة الذين كانوا، أقلّه في التعابير، يقولون بطبيعة واحدة في السيد المسيح. رأى مسيحيو مصر أنه لم يتمّ فهمهم، لا بل شعروا بالاذلال والخيانة من قِبَل البيزنطيين والأنطاكيين والرومان، بسبب أمانتهم لتعليم كيرلس الاسكندري، فعارضوا خلقيدونية، و لم يقبلوا بتعاريفه اللاهوتية. وانضمّ إليهم قسم من الكنيسة السريانية، تبعوا تعبيرات يعقوب البرادعي، ولذلك دعيوا «اليعاقبة» أو «السريان اليعاقبة».

بالملخص، في نهاية القرن الخامس، حصلت ثلاثة انقسامات في كنيسة المسيح: ١) كنيسة المشرق، أي الأشورية (ما بين النهرين وبلاد الفرس)؛ ٢) الكنيسة الخلقدونية (روما والقسطنطينية)؛ ٣) كنائس أتباع الطبيعة الواحدة (سوريا، مصر، أرمينيا). والمأساة أن هذه الانشقاقات يعود أصلها إلى البحث عن تفسير أفضل لسرّ المسيح. واليوم، خفّت حدّة هذه الانقسامات، نتيجةً للحوار اللاهوتي المستمر والمثابر منذ خمسين سنة تقريبًا. ومع ذلك، لا تزال هذه الانقسامات قائمة، وتضعف الشركة، والشهادة، والرسالة.

الجدل حول الكنيسة

ثمة انقسام كبير آخر تفجّر في الكنيسة، في بداية الألفيّة الثانية. منذ زمن، راحت الامبراطوريتان المسيحيتان، بعاصمتيهما القسطنطينية وروما، ومعهما المسيحية الشرقية والغربية، تتباعدان أكثر فأكثر فيما بينهما. وتُذكر سنة ١٠٥٤ على أنها سنة الانقسام، الذي تدعوه روما «انشقاق الشرق»، بينما يدعوه البيزنطيون «انشقاق الغرب». وهذه المرة، كان سبب الانشقاق طبيعة الكنيسة وسلطتها وإدارتها. متى اشتعلت شرارة هذا الانقسام؟

في اليوم السادس عشر من سنة ١٠٥٤، حصل ما لم يكن في الحسبان: وضع مندوبو بابا روما، ليون التاسع، بقيادة الكردينال اومبرتو دي سيلفا كانددا، على مذبح كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية، قرار حرمان البطريرك ميخائيل كارولاريوس، على أساس عدم قانونية بعض العادات البيزنطية. وأدّت هذه المهانة إلى ردّة فعل لدى الامبرطور والمؤمنين والرعاة، فأعلن حرمان مندوبي البابا. وكان ذلك في الحادي والعشرين من تموز، وسط رضى الشعب العام. ولهذا، يُذكر هذا اليوم على أنه تاريخ الانقسام الكبير. وكما نرى، جاء هذا الحرمان المتبادل على خلفية قضية السلطة في الكنيسة.

لقد وصل هذا التباعد إلى ذروته، في الذاكرة التاريخية للبيزنطيين، لدى اجتياح الحملة الصليبية الرابعة (١٢٠٢–١٢٠٤) لمدينة القسطنطينية، وتدميرها، وتعيين بطريرك لاتيني

على الكرسي البطريركي للقسطنطينية. وشهدت الحملات الصليبية بداية إرساليات الكنيسة الكاثوليكية في الشرق، عن طريق العديد من الجمعيات الرهبانية الكاثوليكية، فنشأت شيئا فشيئا كنائس كاثوليكية محلية، يعود مؤمنوها أصلا إلى الكنائس الشرقية والأرثوذكسية. وهكذا اتسعت رقعة الانقسام في كنيسة كانت تعاني أصلا من الانقسامات. وإذا كانت الكنائس في الشرق الأوسط في الألفية الأولى ست كنائس (النسطورية، والقبطية، والسريانية، والأرمنية، والبيزنطية، والمارونية)، أصحبت، على مدى الألفية الثانية، اثني عشرة (الست المشار إليها، بالإضافة إلى الكلدانية، والقبطية الكاثوليكية، والسريانية الكاثوليكية، والأرمنية الكاثوليكية، والملكية الرومية الكاثوليكية، واللاتينية). وما زاد الطين بلّة، وفود كنائس بروتستنتية في القرنين التاسع عشر والعشرين، فتفاقمت الانقسامات في كنائس الشرق الأوسط.

أعاد هذا الواقع إلى الواجهة السؤال حول طبيعة الكنيسة والسلطة فيها: هل ثمة كنيسة أمّ أو كنيسة كبرى، وما سائر الكنائس إلا مجرّد كنائس أقلّ قدرًا؟ هل جميع الكنائس هي كنائس شقيقة فيما بينها؟ بأية سلطة، عملت كنيسة روما والكنائس البروتستنتية الغربية على «هداية» كنائس الشرق؟... تسأل الكنائسُ الأخرى الكنيسةَ الكاثوليكية: ما معنى أن يكون لأسقف روما الأولويّة على الكنائس المحلية؟ وما هو معني العصمة التي يتحلّى بها عندما يحدّد بشكل رسمي أمورًا تتعلق بالعقيدة والأخلاق المسيحية؟

والمأساة أن جميع الكنائس تصرّفت بهذا الشكل لقناعتها بالأمانة لتعليم السيد المسيح، وتجديد الكنيسة، وتتميم صلاته: «ليكونوا واحدًا» (يوحنا ١٧: ٢١).

عوامل غير لاهوتية: القوميات والنَزعة إلى الاستقلال

لقد امتاز الشرق الأوسط دومًا بحضاراته وثقافاته الكبرى، من أشورية، ومصرية، وسريانية، وعبرية، ويونانية اغريقية، وبيزنطية، وعربية، وأرمنية، وفارسية... ومن الطبيعي أن تفخر كل ثقافة بنفسها، وتعمل على حماية استقلالها، وأن تطبع أيضا الديانات، التي تستقر في مناطقها، بطابعها الخاص. تقرّ الوثيقة الحبرية «نور الشرق» (١٩٩٥) قائلة: «يستبين لنا اختبار كلّ من الكنائس الشرقية كمثال للنجاح في التثقّف جدير بالاهتمام» (رقم ٧). وهذا صحيح إلى حد أن الكثير من هذه الكنائس تحمل اسماء هذه الشعوب وثقافاتها (الأشورية، الكلدانية، القبطية – أي المصرية، لأن كلمة «قبطي» مشتقة عن كلمة «ايجيبتوس» باليونانية ومعناها «مصر» – السريانية، السورية، الأرمنية...)، وهي أيضا وريثة هذه الحضارات، كما يظهر ذلك في طقوسها وعاداتها وأعرافها.

ومع ذلك، فالتعلّق المبالغ بهذه الخصوصيات المشروعة، والتوجّه نحو قوميات متطرفة، والتنافس، والرغبة في الاستقلال الكنسي (وهذا كلّه يُسمّى طائفية)، والرجوع كلّ كنيسة فقط

إلى آبائها واستثناء آباء الكنائس الأخرى، والعوامل الاقتصادية والاجتماعية المؤثرة، كان كلّها عوامل حقيقية، ولو بنسب متفاوتة، وساهمت في إشاعة الانقسامات في الكنيسة الواحدة والجامعة.

الفصل الخامس

من يتحمّل مسؤولية الانقسامات؟

يناقض انقسام المسيحيين إرادة السيد المسيح، وبالتالي فهو شر، وخطأ، وشكل من أشكال الخطيئة. ولكن مَن يتحمل مسؤولية هذا الخطأ أو هذه الخطيئة؟ هنا، يجب أن نميّز بين فئتين. الفئة الأولى هم أولئك الذين أشعلوا نار الانقسامات في الكنيسة، بطريقة واعية أو غير واعية. فقد تمرّدوا، بشكل من الأشكال، على السلطة القائمة في الكنيسة، معتمدين على منطقهم الخاص، ومتذرّعين بالرغبة في إصلاح الكنيسة، عقيدةً وأخلاقًا. أمّا الفئة الثانية، فهم مسيحيو اليوم، الذين وجدوا أنفسهم، بدون استحقاق وبدون ذنب، أعضاء في هذه الكنيسة أو تلك، بالولادة والتنشئة. على هاتين الفئتين، تنطبق كلمتان متزنتان وردتا في المجمع الفاتيكاني الثاني.

من ناحية، يذكر المجمع الفئة الأولى، ويقول: «وفي كنيسة الله هذه الواحدة الوحيدة ظهر منذ البدء بعض انقسامات استنكرها الرسول بشدّة كشيء يستوجب الشجب، وفي غضون القرون اللاحقة وقعت انشقاقات أشدّ خطورة، وانفصلت طوائف ذات بال عن شركة الكنيسة الكاثوليكية التامة بذنب أفراد أحيانًا من هذا

الفريق أو ذاك»[٢٠]. نلفت النظر إلى الجملة الأخيرة، التي تضع الإصبع على الجرح: «من هذا الفريق أو ذاك». وبالتالي، يقرّ المجمع بأن المسؤولية لا تقع على طرف دون آخر، كما ولو أن أحد الأطراف بريءٌ كلّ البراءة، والآخر مخطئٌ كلّ الخطأ. ولاحقًا، يقول القرار نفسه بشجاعة: «وتنطبق أيضًا على الأخطاء ضد الوحدة شهادة القديس يوحنا: إذا نحن قلنا إننا لم نخطأ جعلنا الله كاذبًا، وكلمته ليست فينا (١ يوحنا ١: ١٠). فعلينا أن نستغفر، بصلاة متواضعة، الله والإخوة المنفصلين، وأن نغفر لمن اساء إلينا»[٢١].

من ناحية أخرى، لا أحد منّا (وهذا ما نرجوه) اقترف خطيئة شخصيّة بحقّ وحدة المسيحيين، بشكل من الأشكال. ولهذا السبب، تستطرد الوثيقة المجمعية وتقول: «بيد أن الذين يولدون اليوم في حضن تلك الطوائف ويحيون من الإيمان بالمسيح لا يمكن أن يطالبوا بخطيئة انفصال، لذلك تشملهم الكنيسة الكاثوليكية بالاحترام الأخوي»[٢٢]. وهنا ايضا نلفت النظر إلى الجملة: «لا يمكن أن يطالبوا بخطيئة انفصال».

لكن الأمر يختلف بالنسبة إلى أولئك الذين ينتقدون علنًا سلطة الكنيسة وعقيدتها، ويعلنون أنفسهم المُفسِّرين المُلهَمين للكتاب المقدس، وينشرون التعاليم المخالفة للتقليد المقدس، ويشهّرون

٢٠) الحركة المسكونية، ٣.
٢١) الحركة المسكونية، ٧.
٢٢) الحركة المسكونية، ٣.

بكنيسة من الكنائس، لا بل يحاربونها. إنهم، بهذه الطريقة، لا يعزّزون الوحدة والمصالحة بين الكنائس، بل يعمّقون انقساماتها. ويجب أيضًا أن نحذر هؤلاء المسيحيين، الذين يضعون الكتاب المقدس فوق الكنيسة وليس في الكنيسة، ويجعلون منه معيارًا للحقيقة فوق الكنيسة، الأم والمعلمة، ويفسّرونه تفسيرًا فرديّا وشخصيّا. إن مثل هؤلاء يحملون الكتاب المقدس، وكأنهم تلقوه مباشرةً من الله، فلا يقبلونه من يد الكنيسة، الحارسة لكلمة الله ومفسِّرتها. من البديهي أن هذا التصرف يفتح الطريق لقيام الكثير من الفرق المسيحية، التي تدّعي تفسير الكتاب المقدس وفق الهامها الفردي ومفهومها الخاص.

الفصل السادس

ماذا نستطيع أن نعمل لتعزيز الوحدة؟

ننطلق من هذه الفكرة الأساسية، وهي أن الجميع يستطيعون – ويجب عليهم – أن يسعوا إلى تحقيق صلاة يسوع: «ليكونوا واحدا» (يوحنا ١٧: ٢١). نحن جميعا كنيسة الله، ولا أحد يحقّ له أن يفكّر أو يقول: «هذا واجب الرؤساء، والرعاة، والأساقفة، واللاهوتيين والمؤرخين، والباحثين. أما أنا فلا دخل لي في ذلك أو لا أستطيع أن أعمل شيئا». صحيح أن الرعاة يتحمّلون مسؤوليةً خصوصية، بسبب سلطتهم وخدمتهم، ولكنّ الجميع مدعوون إلى تحمُّل هذه المسؤولية، كلٌّ بحسب إمكاناته وموقعه[٢٣]. فعلى الجميع، إذًا، أن يشعروا أنهم جزء من الحركة المسكونية، فيساهموا في مختلف المبادرات والجهود المبذولة والرامية إلى الوحدة المسيحية. في الحقيقة، لا يقتصر العمل المسكوني على البحث عن الحقيقة (مسكونيّة الحقيقة)، بل هنالك أيضًا مسكونية المحبة، ومسكونية

٢٣ «إن الاهتمام ببلوغ الاتحاد فرضٌ على الكنيسة كلها جمعاء، سواء في ذلك المؤمنون والرعاة. ويُلزِم كلَّ واحد بحسب طاقاته، سواء في الحياة اليومية وفي البحوث اللاهوتية والتاريخية. وإن مثل هذا الاهتمام يظهر، في بعض الوجوه، الرابط الأخوي الذي يربط بين المسيحيين ويقود إلى تمام الوحدة الكاملة، كما يريدها الله» (**الحركة المسكونية**، ٥).

المشاركة في المبادرات الساعية إلى هذه الغاية. نتوقف قليلا عند هذه المجالات الثلاث من العمل المسكوني، مع أمثلة ملموسة لما يستطيع الجميع أن يقوم به.

مسكونيّة الحقيقة

إن مسكونيّة الحقيقة تُترجم إمّا على مستوى الحوار بين المختصين، أو على مستوى الحياة اليومية. بالنسبة إلى المستوى الأول، أي المستوى المؤسَّساتي، يجب القول إنه، منذ قرن من الزمن تقريبًا، بدأت الكنائس المسيحية بحوار حول حقيقة الإيمان، تلك المشتركة بينهم وتلك المختلف عليها. وبنعمة الروح القدس، أثمرت هذه الحوارات الرسمية وغير الرسمية ثمارًا كثيرة ووافرة، وساهمت مساهمة حقيقية في التقريب بين الكنائس. أما بالنسبة إلى المستوى الثاني، المستوي الشخصي، فإننا نساهم في تعزيز الوحدة، عندما نعتبر كلَّ مسيحي معمَّد أخًا لنا، أيّا كانت الكنيسة التي ينتمي إليها. وهذا ما يساعدنا، من جهة، على التخلُّص من الأفكار المسبقة، والإدانة والانعزال، وعلى السعي، من جهة أخرى، لرؤية الجوانب الإيجابية في كنائسهم. بالإضافة إلى ذلك، وبحسب الامكانات، نسعى إلى الالمام «بعقيدة الإخوة المنفصلين وتاريخهم، وبحياتهم الروحية والتربوية، وبنفسيتهم الدينية وثقافتهم إلمامًا أفضل»[٢٤]. وللوصول إلى ذلك، من الأفضل التقرّب

٢٤) **الحركة المسكونية**، ٩.

منهم إن اتيحت الفرصة، بدل الابتعاد عنهم. أما المناسبات، فهي المؤتمرات، واللقاءات، والصلوات، والمطالعات الشخصية، وطلب الايضاحات، وتنقية الذاكرة.

مسكونيّة المحبة

إن مسكونية المحبة تفرض الاهتداء الشخصي، كما تفرض الانفتاح الصادق على إخوتنا المسيحيين الآخرين. كلّما عاش المسيحي (من أيّة كنيسة كان) الأمانة ليسوع المسيح، فإنه يتقرّب من أخيه المسيحي، من أيّة كنيسة كان. إن قداسة الحياة توحّدنا، وترتفع بنا فوق جميع الفروقات. وهذا ما يدعو إلى الصلاة من أجل وحدة المسيحيين، أسوة بيسوع الذي صلّى قائلا: «ليكونوا واحدا» (يوحنا ١٧: ٢١). وهذا ما يؤدّي إلى العلاقة الأخوية، وعيش الشركة، والقيام بلفتات محبة. «المحبة تصبر، المحبة تخدم، ولا تحسد ولا تتباهى ولا تنتفخ من الكبرياء، ولا تفعل ما ليس بشريف ولا تسعى إلى منفعتها، ولا تحنق ولا تبالي بالسوء، ولا تفرح بالظلم، بل تفرح بالحق. وهي تعذر كل شيء، وتصدّق كل شيء، وترجو كل شيء وتتحمّل كل شيء» (١ قورنتس ١٣: ٤–٧). هذا هو حوار الحياة، وهو أكثر فاعليّة من حوار الحقيقة. يقول المجمع الفاتيكاني الثاني بحق: «إن هذين التجدُّد الباطن والقداسة في السيرة، متحدين بالصلاة الجمهورية والفردية لأجل الوحدة بين المسيحيين، يجب أن يعدّا بمثابة الروح للحركة المسكونية برمّتها، وأن يُسمَّيا بحق

المسكونية الروحية»[٢٥]. نستطيع جميعًا (ويجب علينا) أن نقوم بمثل هذه الأعمال، فنساهم في مسيرة الوحدة المسيحية.

مسكونية الحياة

أما مسكونيّة الحياة أو الممارسة الحياتية، فتعني أن نقوم بأعمال ملموسة معًا، كبيرة كانت أو صغيرة، وأن ننفتح على الآخرين. والكلمات الجوهرية في هذا المجال هي: المشاركة والتعاون. بالنسبة إلى المشاركة، يمكن أن نعبّر عنها في مناسبات الأعياد، وفي أوقات الألم والمرض، والحداد والجنازات. ويمكن أيضًا أن ننظّم اجتماعات حوار للمعرفة المتبادلة، أو مجموعات صلاة تتخطّي حدود الطائفة والانغلاق. أما بالنسبة إلى التعاون، فهنالك مجالات كثيرة يستطيع المسيحيون من مختلف الكنائس الالتزام بها والتعاون فيها. وهنا أيضًا، نلجأ من جديد إلى المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي يعدِّد مثل هذه المجالات: «إما بجعل الشخص البشري يقدَّر حقَّ قدره، وإما بالعمل على نشر راية السلام، أو بمواصلة تطبيق مبادئ الانجيل الاجتماعية، أو بإنماء العلوم والفنون في جو مسيحي، أو بتأمين العلاجات من كل نوع لمعالجة أوصاب العصر: كالجوع والفواجع، والجهل والفقر، وأزمة السكن وعدم التساوي في توزيع الثروات»[٢٦]. وثمة مجالات أخرى للعمل المشترك، كمشارع

٢٥) الحركة المسكونية، ٨.
٢٦) المرجع نفسه، ١٢.

السكن، وبناء الكنائس والمستشفيات، ووسائل الاتصال الجماعي، وأخلاقية الحياة. صحيح أن هذه القضايا إنما هي قضايا هائلة، ولكن كلَّ واحد يستطيع (ويجب) أن يقوم بشيء ما، بسخاء ومثابرة، مهما كان صغيرا أو بسيطا.

من المؤكد أن مسؤولية الوحدة المسيحية تقع أيضًا على عاتق المختصّين، كالمؤرخين، واللاهوتيين، والرعاة، والسلطات الكنسية، الذين تعود إليهم مسؤولية الالتزام لتعزيز اللقاءات على جميع المستويات، وحوار المحبة، وحوار الحقيقة. فالعالم لم يَعُد (كما في الماضي) عالم الجدالات، والنقاشات، والخصومات، والنزاعات، والإدانات، والحرمانات، واللعنات. إن النهج المطلوب اليوم هو نهج الحوار الأخوي، الذي يتيح لكلّ واحد العرض الواضح والصادق لشؤون كنيسته، والاصغاء المتبادل، طالبين عون السيد المسيح. وعلى الجميع استدعاء نعمة الروح القدس والانقياد له، لأنه هو، كما يقول يسوع، الذي يرشد «إلى الحقّ كلّه» (يوحنا ١٦: ١٣).

الفصل السابع

ماذا يمكن أن نعمل معًا في الوقت الراهن؟

لا نتوقف هنا عند الأمور العادية للحياة اليومية، حيث نعمل الكثير معا كإخوة وأصدقاء. ما يهمنا هو الأشياء المقدسة التي يمكن أن نعملها معا.

خلفيّة لاهوتية متباينة

في الحقيقة، قليلةٌ هي الأشياء المقدسة التي يمكن أن نعملها معًا كجماعات كنسية، وهي رهنٌ بالعلاقات القائمة بين العائلات الكنسية، وبالسلطات الدينية في كلّ كنيسة. إن المبدأ العام هو أن يهتمّ الرعاة في كلِّ كنيسة بالأمور المقدسة لأبناء كنيستهم (الليتورجيا، الأسرار، الصلوات). والسبب الأساسي هو أن المشاركة التامة في الليتورجيا والأسرار بين المسيحيين المنتمين إلى كنائس مختلفة يفرض الشركة الكاملة بين هذه الكنائس، والاعتراف المتبادل بأن جميعها هي كنائس المسيح الحقيقية. وحول هذه النقطة بالذات، هنالك اختلاف في المواقف بين الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية. يقول الأرثوذكس إن الكنيسة الحقيقية الوحيدة هي الكنيسة الأرثوذكسية. وعليه، فإن الإمكانية الوحيدة

للمشاركة في الأعمال المقدسة، بالنسبة إلى مَن ابتعدوا عن الكنيسة، هي عودتهم إلى حضن الكنيسة الحقيقية. أما الكنيسة الكاثوليكية، فإنها تؤكد، هي أيضًا، أنها كنيسة المسيح الحقيقية. وهذا ما يؤكده المجمع الفاتيكاني االثاني[٢٧]، أي أن التحقيق الكامل لكنيسة المسيح نجده في الكنيسة الكاثوليكية. ولكن هذا لا يحول دون قدرة الكنائس الأخرى على تقديم وسائل الخلاص لمؤمنيها، وذلك لما لديها من خلافة رسولية، وكهنوت خدَمي حقيقي، وأسرار مقدسة حقيقية. ومن هذا المنطلق، ما هي الأمور التي يمكن أن نعملها معًا؟ إنها ليست بكثيرة، ولكنها مهمّة بقدر ما هي سهلة.

نظرة جديدة

قبل كل شيء، يجب أن ننظر إلى إخوتنا المسيحيين بعيون جديدة، لا كغرباء، أو أسوأ، كهراطقة وأعداء وخونة، بل كإخوة في المسيح. إذا أمرنا يسوع بمحبة القريب، فمن البديهي أن تتوجّه هذه المحبة أولا إلى إخوتنا المسيحيين[٢٨]، فنحبهم قبل أن نحكم عليهم. فإذا لم ينتموا إلى كنيستنا، فإنهم لم يختاروا ذلك، وبالتالي لِمَ الحكم عليهم وإدانتهم؟ فهم لم يقترفوا خطيئة الانفصال بخيار شخصي. وهذا ما يقودنا إلى الدخول في حوار معهم، والتعرّف عليهم بشكل أفضل. هنالك الكثير من الجهل المتبادل، بسبب عدم

٢٧) راجع **دستور عقائدي في الكنيسة**، ٧.

٢٨) يناشدنا القديس بولس قائلا: «فما دامت لنا الفرصة إذًا، فلنصنع الخير إلى جميع الناس ولاسيما إلى إخوتنا في الإيمان» (غلاطية ٦: ١٠).

اهتمامنا بالآخرين، علِما بأنه كلّما ازدادت معرفتنا، ازداد تفهّمنا واحترامنا وتقديرنا.

الزيجات المختلطة

في هذا المجال، يمكن أن تقوم بدور خصوصي، لا بل برسالة خصوصية، الزيجات المختلطة. قبل كل شيء، يلتزم الأهل بتربية الأبناء في الايمان المشترك، وذلك بقراءة الكتاب المقدس، والصلاة، وممارسة الأسرار والفضائل المسيحية وأعمال المحبة. في هذا الصدد، يقول البابا يوحنا بولس الثاني: «إن الزواجات المختلطة المعقودة بين الكاثوليك وغيرهم من المُعمَّدين، برغم أن لها طبيعتها الخاصة، فهي تتضمن عدّة عناصر، في رعايتها وتطويرها فائدة سواء أكان لما لها من أهمية ذاتية، أم لما تستطيعه من مساهمة في الحركة المسكونية. وهذا يتضح، خاصة عندما يكون كلا الزوجين أمينَين لواجباتهما الدينية. وبعد، فالعماد المشترك، وقوة النعمة وحيويتها، توفّر للزوجين، في هذه الزيجات، المبدأ والسبب لما يجب أن يعربا عنه من اتحاد في مجال القيم الاخلاقية والروحية» [٢٩].

الصلاة معًا

إن كلّ ما سبق يقودنا إلى مستوى أعلى وأسمى، وهو الصلاة لبعضنا البعض، وحتى الصلاة معًا، على مستوى بسيط

٢٩) **العائلة المسيحية في عالم اليوم**، ٧٨.

وعفوي، إن ضمن مجموعات صغيرة، أو بطريقة أكثر تنظيمًا. إن إحدى مبادرات الصلاة الجماعية، المعروفة والمنتشرة في كل العالم المسيحي، هي «اسبوع الصلاة من أجل الوحدة المسيحية»، التي تقع ما بين الثامن عشر والخامس والعشرين من شهر كانون الثاني من كل سنة. وتشكّل أيضا تساعية الاستعداد لعيد العنصرة مناسبة لاستدعاء نعمة الروح القدس، الذي هو روح وحدة وشركة، من أجل وحدة المسيحيين. يجب أن تلتزم الرعايا بمثل هذه المبادرات، وأن تنشئ أبناءها على الروح المسكونية. يجب أن ترتفع الصلاة من أجل الوحدة المسيحية كلّ يوم من قلوب المسيحيين.

مجالات أخرى

هنالك مجالات أخرى من العمل معًا: التعليم المسيحي، ترجمة مسكونية للكتاب المقدس والصلوات المشتركة المعروفة (الصلاة الربية، قانون الإيمان...). وفي كلّ هذا، نشدّد على ما يجمعنا، وليس على ما يفرّقنا، ونتعامل مع نقاط الخلاف، لا باسلوب الجدل العقيم، بل بروح التفهُّم. هنالك الكثير من المؤتمرات التي تتناول مواضيع الوحدة المسيحية، وهي متعددة المستويات (المحلية والوطنية والعالمية) ومتعددة المواضيع (العلمية، الرعوية، الليتورجية...). وكلّ ذلك، بالإضافة إلى بعض المبادرات البسيطة: تلاوة كلمة الله أو حتى الوعظ عندما نُدعى لذلك؛ المشاركة في الجنائز وقداديس الموتي؛ الاستعمال المشترك لبعض أماكن العبادة، إلخ...

الفصل الثامن

ماذا لا نستطيع أن نقوم به معا لحد الآن؟

بالنسبة إلى العماد

تعترف الكنيسة الكاثوليكية بصحة العماد الذي تحتفل به الكنائس الأخرى، عندما يُمنَح بالماء باسم الثالوث الأقدس (وهذا ما يحول دون الاعتراف بمعمودية شهود يهوه، لأنه لا يُمنَح باسم الثالوث الأقدس). في هذه الحالة، لا يجور إعادة العماد على الإطلاق. أما في الكنيسة الأرثوذكسية، فهنالك قواعد وعادات مختلفة، بحسب أوضاع الأشخاص المتنوعة. فالهراطقة يُعمَّدون من جديد، والكاثوليك يُمنَحون الميرون المقدس، والمنشقون يُقبَلون في الكنيسة بعد التوبة وجحد الأضاليل. أمّا الكنيسة القبطية، عادةً، فتعيد العماد بالنسبة إلى المسيحيين الوافدين من كنائس أخرى إذا دخلوا في الكنيسة القبطية، كما تعيد من جديد أيضًا الأسرار الأخرى التي قُبلت في كنيسة أخرى، كاثوليكية أو بروتستنتية. تسمح بعض الكنائس لكاهن من كنيسة أخرى أن يشارك في الاحتفال بالعماد لأحد ابناء كنيسته، وهي مشاركة فقط أخوية. تسمح الكنيسة الكاثوليكية أن يكون أحد الأشابين مسيحيّا شرقيّا أو حتى من أية كنيسة مسيحية.

بالنسبة إلى الافخارستيا

في الكنيسة الكاثوليكية، تُتاح المشاركة في القداس الإلهي فقط للكهنة الكاثوليك، وبالتالي، لا تجوز مطلقًا المشاركة في القداس لخدام من كنائس أخرى غير كاثوليكية. والكنائس الأرثوذكسية أيضًا تمنع المشاركة في الاحتفال بالافخارستيا من جانب كهنة او رعاة من كنائس أخرى. كما ولا تمنح المناولة إلا للمؤمنين الأرثوذكس، لاعتبارهم الافخارستيا علامةً للانتماء للكنيسة وعلامةً للهويّة الكنسية. ولا يمكن قبول المناولة الافخارستية إذا لم تتوفّر الشركة الكنسية. أما الكنائس البروتستنتية، فإنها تسمح بمشاركة رعاة من كنائس أخرى وأيضًا بالمناولة، بمعنى أن مؤمني أي كنيسة يمكن أن يتقربوا من المائدة الافخارستية لكنيسة أخرى.

بالنسبة إلى قبول الأسرار

بينما تسمح الكنيسة الكاثوليكية لمؤمني الكنائس الأرثوذكسية (وأيضًا لجميع مؤمني الكنائس الشرقية غير الكاثوليكية) بقبول اسرار التوبة والافخارستيا ومسحة المرضى في ظروف معينة، وبطريقة غير اعتيادية، وبشروط معينة (الطلب العفوي، الاستعدادات اللازمة، الحاجة الروحية). والسبب هو أنها تعترف بالخلافة الرسولية للكنائس الشرقية والأرثوذكسية، وبالتالي لديها سرّ الكهنوت، ولديها الأسرار حقيقة. وهي تسمح أيضًا للمؤمنين

الكاثوليك، في حالة الضرورة والحاجة، وفي حالة مانع مادي أو اعتباري، ولخير الشخص الروحي، وفي حالة غياب خطر الضلال أو عدم اللامبالاة، أن يطلبوا الأسرار في كنيسة أرثوذكسية[٣٠]. في بعض الحالات، وتحت شروط معينة، يستطيع الكاهن الكاثوليكي أن يمنح أسرار التوبة والافخارستيا ومسحة المرضى لمؤمني الكنائس الأخرى لمن يطلبها بشكل عفوي، شريطة أن يُظهِر الإيمان بهذه الأسرار المطلوبة والاستعدادات الضرورية لها[٣١]. بالنسبة إلى التوبة ومسحة المرضى، يجوز لكاهن كاثوليكي أن يمنح هذين السرّين لمن يطلبونهما من مؤمني الكنائس الأرثوذكسية والشرقية، تحت شروط معينة (الطلب العفوي، الضرورة، الخير الروحي).

بالنسبة إلى الزواج

هنالك اختلافات في الرؤية اللاهوتية للزواج. بالنسبة إلى اللاهوت الأرثوذكسي، خادم السر هو دائمًا الكاهن المرسوم (الأسقف أو الكاهن، واستثناء الشمامسة) الذي يمثّل المسيح الذي يبارك وحدة الزوجين. بالنسبة إلى الاهوت الكاثوليكي، خدّام سرّ الزواج هما الزوجان نفسيهما، اللذان يتبادلان الرضى

٣٠) راجع **القانون الكنسي**، البند ٨٤٤، المادة ٣–٤. وهنالك، بهذا الشأن، اتفاقات رسمية بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأشورية ومع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية.

٣١) راجع «**دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونية وقواعدها**»، رقم ١١٨–١٢١، ١٢٦.

ويقيمان عقد الزواج، الذي يباركه المسيح في الكنيسة. وهنالك أيضًا اختلاف في امكانية الطلاق. بشكل اعتيادي، تتجاوب الكنائس الشرقية والأرثوذكسية (ولو بنسبة صرامة مختلفة) مع هشاشة المسيحيين وتقدّم لهم إمكانية جديدة للحياة الزوجية على أنه شواذ، كما وتجيز الطلاق في بعض الحالات (الزنى، الجحود، العجز الجنسي...)، انطلاقًا من كلمة يسوع «إلا لفحشاء»، التي يطبقونها أيضًا على حالات صعبة وخارجة عن المعتاد.

أمّا بالنسبة إلى الزيجات المختلطة، بين مؤمنين من كنيستين مختلفتين، فالكنائس كلها تسمح بها بشكل عام، ولكن كلّ كنيسة تضع لها القوانين والشروط المعينة. ومع ذلك، فهنالك بعض الاتفاقات بين الكنائس حول الزيجات المختلطة، كما هو الحال بين الكنيسة المالنكارية السريانية والكنيسة الملنكارية الكاثوليكية في الهند. بشكل اعتيادي، تفرض الكنيسة الأرثوذكسية والكنائس الشرقية، لصحة الزواج، حضور كاهن من هذه الكنائس. وعليه، فإن الزواج بين كاثوليكي وأحد ابناء هذه الكنائس، الذي يتمّ الاحتفال به في كنيسة كاثوليكية، يُعتبر غير شرعيّ وغير صحيح. لهذا السبب، يلجأ البعض، بعد الزواج في الكنيسة الكاثوليكية، إلى الكاهن الأرثوذكسي للاحتفال من جديد بسر الزواج بحسب الطقس الأرثوذكسي. وبطريقة غير اعيادية وبسبب خير المتزوجين، تسمح بزواج أبنائها مع طرف غير ارثوذكسي، شريطة أن يعدوا بعمّاد الأطفال وتربيتهم في الكنيسة الأرثوذكسية.

تنظّم الكنيسة الكاثوليكية الزيجات المختلطة على المستوى القانوني[٣٢]، خصوصًا إذا احتُفل بالزواج المختلط في كنيسة شرقية غير كاثوليكية. فالكنيسة تعترف به، ولا تطلب إعادة الرضى المتبادل. ويستطيع كاهن من كنيسة أخرى المشاركة في رتبة الزواج، على صعيد الحضور والمشاركة. أما بالنسبة إلى الأشابين، تطلب الكنائس الشرقية والأرثوذكسية أن يكون الأشابين من أبنائها، بينما تجيز الكنيسة الكاثوليكية أن يكون الأشبين من كنيسة أخرى. أما بالنسبة لتربية البنين، فهنالك مشكلة حساسة، بما أن كلا الزوجين يعدان بتربية بنيهما في كنيسته الخاصة. المهم هو تربية الأطفال في الإيمان المسيحي المشترك، بروح مسكونية، وبعيدا عن اللامبالاة والضبابية واللادرية.

٣٢)راجع **القانون الكنسي**، البنود ١١٢٤–١١٢٩، **وقانون الكنائس الشرقية الكاثوليكية**، البنود ٨١٣–٨٤٢. راجع أيضا **دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونية**، رقم ١٤٣–١٦٠.

الفصل التاسع

هل يجوز الانتقال من كنيسة لأخرى؟

إن هذه القضية جديّة وحساسة، وأجوبة الكنائس عليها مختلفة. فالكنائس الشرقية الأرثوذكسية، بما أنها تعتبر نفسها الكنيسة الحقيقية، تؤكّد أنه لا يجوز لأي مؤمن أن يترك كنيسته الأرثوذكسية لينتقل إلى كنيسة أخرى. في هذه الحالة، يعتبر مُنشقّا وهرطوقيّا.

بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية، يؤخذ بعين الاعتبار مبدأ الحرية الدينية، التي أقرّها بشكل واضح المجمع الفاتيكاني الثاني[٣٣]. لكلّ شخص الحقّ الذي لا يُمسّ، لا بل الواجب، بأن يتبع أحكام ضميره، أيضًا في الأمور الدينية. على هذا الأساس، يحقّ لكلّ مسيحي، لأسباب ضميرية، أن يقرّر بحرية الدخول في شركة كاملة مع الكنيسة الكاثوليكية، أو حتى، إذا كان مُقتنعًا بذلك، أن ينتقل إلى كنيسة أخرى، على ألا يكون القرار استخفافيّا ومتسرعًا، أو لسبب انتهازي أو لمصلحة مادية، أو لخصومة مع الرؤساء الروحيين،

٣٣) «وإذ كان جميع الناس أشخاصًا، أي ذوي عقل وإرادة حرة، ومن ثم ذوي مسؤولية شخصية، فبداعي كرامتهم وبدافع من طبيعتهم نفسها ومن الإلزامية الأدبية يجب عليهم أن يطلبوا الحقيقة، ولاسيما تلك التي تتعلق بالدين. وهم ملزمون، إذا وجدوا الحقيقة، أن يعتنقوها، وأن يطبقوا حياتهم على مقتضياتها» **(بيان في الحرية الدينية، ٢)**.

أو لنِزاع عائلي، أو حتى لزواج مختلط، كما وأن الأمر هو شيء آليّ. كما ويجب الا يكون هذا القرار نتيجة اقتناص بدون وجه حق من جانب أناس لهم مصلحة في ذلك. بنعمة الله، يجب أن يكون الخيار حُرّا وعفويّا، ويأتي بعد التفكير المليّ والصلاة.

في كلّ الأحوال، على جميع الكنائس أن تمتنع عن الاقتناص[٣٤]. ونعني بذلك اجتذاب مؤمني الكنائس الأخرى إلى كنيسة خاصة، بطرق ملتوية، عن طريق الإغراء بالفلوس أو الوظائف، أو بما هو أسوأ، عن طريق بعض الاغراءات غير الشريفة، أو بالضغط، وغيرها من الأساليب المناقضة لحرية الآخرين. يجب ألا نستغّل أبدًا الجهل وبساطة الناس أو ضعفهم في الإيمان. إن مثل هذا التصرّف لا يناقض الروح المسكونية فحسب، بل يناقض كرامة الشخص، إذ يتمّ الاعتداء على حريته الداخلية.

٣٤) تقول الرسالة الرابعة لبطاركة الشرق الكاثوليك «**الحركة المسكونية**» في هذا الصدد: «قضية انتقال الأشخاص من كنيسة إلى أخرى قضية تعاني منها الكنائس كلّها. وهي قضية ما زال يحيط بها الاضطراب وما زالت مصدرًا لتبادل التُهم وسببا للأزمات وانعدام الثقة بين الكنائس، ولاسيما في الشرق الأوسط، حيث تعيش الكنائس جنبا إلى جنب، ويختلط مؤمنوها في مجالات عديدة في الحياة اليومية» (رقم ٦٨).

خاتمة

هل من أمل بالوحدة في المستقبل؟

منذ أكثر من قرن من الزمن، تطوّرت في العالم المسيحي الحركة المسكونية، وهي الحركة الهادفة إلى تعزيز وحدة المسيحيين، سواء على الصعيد الرسمي والدولي، أو على الصعيد العفوي والمحدود، في مجالات الوحدة الثلاث: حوار الحقيقة، حوار المحبة، حوار الحياة. بمعونة الروح القدس، تتنامى هذه الحركة وتتطوّر في قلوب المسيحيين، وتشكّل علامات أمل للمستقبل.

– **في مجال حوار المحبة**: أدّى حوار المحبة إلى المزيد من التقارب والانفتاح المتبادلين. فاللقاءات تزداد، في جوّ من المحبة الأخوية والاحترام، وتؤدي إلى المزيد من التفاهم والمصالحة. وثمة لفتات لها مدلولها: رفع الحرمانات، الزيارات الأخوية المتبادلة بين السلطات الدينية، تبادل التهاني في الأعياد، صلوات مشتركة، طلب المغفرة... لقد تبدّل مناخ العلاقات المتبادلة نحو الأحسن.

– **في مجال حوار الحقيقة**: لقد أنجز حوار الحقيقة خطوات كثيرة، بفضل اللقاءات حول مواضيع متنوعة. وبهذا الخصوص، يمكن القول إن جميع الكنائس اتفقت على خلق اللجان الرسمية المشتركة للحوار: ثنائية (بين كنيسة وأخرى) أو متعددة الأطراف (بين عدة كنائس).

والنتائج كانت ممتازة، إذ نجم عنها الكثير من البيانات المشتركة، التي تؤكد على ما تمّ التوصل إليه بشأن الوحدة. ومع ذلك، فلا تزال خطوات جديدة يجب القيام بها، لكي نصل إلى الوحدة الكاملة.

– **في مجال حوار الحياة**: لقد تطوّر حوار الحياة وأدّى إلى الكثير من الثمار. راح المسيحيون، أكثر فأكثر، يعتبرون بعضهم بعضًا إخوة في المسيح، فيتلاقون، ويتساعدون، ويصلّون معا، وينون روابط صداقة، ويتعاونون في الكثير من المبادرات، ويتضامنون في الأفراح والأتراح. وهذا كلّه يزيل الكثير من الأفكار المسبقة ويعطي المجال للوقوف على الغني الكامن في كلّ كنيسة، وهي كلّها من هبات المسيح الواحد.

أما مسيحيو كنائس الشرق الأوسط، فراحوا يدركون أكثر فأكثر أن قوّتهم هي في وحدتهم. من الطبيعيّ أن يكون لكلّ كنيسة تاريخها الخاص، وقديسون، وشهداء، ومرسَلون... ويجب القول إن كلّ كنيسة (من خلال أبنائها) كان لها أخطاؤها وخطاياها. ولقد حان وقت المغفرة المتبادلة والمصالحة، وتنقية الذاكرة، والحوار المسكوني. وهنا نستذكر مقولة بطاركة الشرق الكاثوليك: «في الشرق، نكون مسيحيين معًا، أو لا نكون»[٣٥].

من الأهمية بمكان أن نشدِّد على الرابط الوثيق بين الوحدة والشهادة والرسالة. وهذا ما اشار إليه السيد المسيح نفسه بوضوح

٣٥) الرسالة الأولى، رقم ٨، وأعيد التذكير بها في الرسائل اللاحقة (**الحركة المسكونية**، ٤٠، **الحضور المسيحي في الشرق**، رقم ٣٩).

عندما قال: «ليكونوا بأجمعهم واحدا: كما أنك فيّ، يا أبتِ، وأنا فيك، فليكونوا هم ايضا واحدًا فينا ليؤمن العالم بأنك أنت أرسلتني» (يوحنا ١٧: ٢١). يؤمن العالم، عندما يرى كيف أن المسيحيين يحبون بعضهم بعضا. كلما ازدادت وحدتنا، شهدنا للمسيح وكنيسته، وكانت رسالتنا أكثر فاعلية. وبعكس ذلك، لا يمكننا أن نكون ملحا ونورا في المجتمع.

تنهي هذه الجولة بنداء وصلاة. أما النداء، فهو نداء المجمع الفاتيكاني الثاني: «يتمنّى المجمع بإلحاح على مبادرات أبناء الكنيسة الكاثوليكية أن تنمو متحدّة مع مبادرات الإخوة المنفصلين، متحاشين أن يخلقوا أيّ عقبة في طريق العناية الإلهية، وألا يستبقوا باحكامهم تحريكات الروح القدس المستقبلية. ويعلن المجمع، بالإضافة إلى ذلك، أنه يعي أن هذا المشروع المقدس، أي مصالحة جميع المسيحيين في وحدة كنيسة المسيح الواحدة الوحيدة، يتجاوز القوى والطاقات البشرية. لذلك يعقد رجاءه كله على صلاة المسيح لأجل الكنيسة، في حبّ الآب لنا وقدرة الروح القدس: «فالرجاء لا يخيب البتة لأن محبة الله قد سكبها في قلوبنا الروح القدس الذي أُعطيناه» (رومة٥: ٥)»[٣٦].

وأما الصلاة، فهي صلاة أحد روّاد الحركة المسكونية الكبار:

ايها الرب يسوع، يا مَن في ليلة إقبالك على الموت من أجلنا،
صلّيتَ لكي يكون تلاميذه بأجمعهم واحدًا ،

٣٦ الحركة المسكونية، ٢٤.

كما أن الآب فيك وأنت فيه،
إجعلنا نشعر بعدم أمانتنا ونتألم لانقساماتنا.
أعطنا صدقًا فنعرف حقيقتنا، وشجاعة فنطرح عنّا
ما يكمن فينا من لامبالاة وريبة، ومن عداء متبادل.
امنحنا يا رب، أن يجتمع كلّنا فيك،
فتُصْعِد قلوبُنا وأفواهنا، بلا انقطاع، صلاتك من أجل وحدة المسيحيين، كما تريدها أنت، وبالسبل التي تريد،
ولنجد فيك، يا ايها المحبة الكاملة، الطريق الذي يقود إلى الوحدة،
في الطاعة لمحبتك وحقك. آمين. (الأب بول كوتيرييه)

فهرس

المقدمة ٣

الفصل الأول: ما هي كنائس الشرق الأوسط وما عدد مؤمنيها؟ ٤
نظرة عامة ٤
نبذة سريعة لكلٍّ من هذه الكنائس ٨

الفصل الثاني: ما هي نقاط الوحدة بين مسيحيي الشرق الأوسط؟ ١٣

الفصل الثالث: ما هي نقاط الخلاف بيننا إلى اليوم؟ ١٦
مجال الإيمان والعقيدة ١٦
مجال نظام الكنيسة ٢٣
مجال الحياة الخلقية ٢٧
ملحق: الاختلاف في بعض العادات والتقاليد ٢٩

الفصل الرابع: ما هي أسباب الانقسامات في التاريخ؟ ٣٢
الجدل حول السيد المسيح ٣٢
الجدل حول الكنيسة ٣٥
عوامل غير لاهوتية ٣٧

الفصل الخامس: من يتحمّل مسؤولية الانقسسامات؟ ٣٩

الفصل السادس: ماذا نستطيع أن نعمل لتعزيز الوحدة؟ ٤٢
مسكونية الحقيقة ٤٣
مسكونية المحبة ٤٤
مسكونية الحياة ٤٥

الفصل السابع: ماذا يمكن أن نعمل معًا في الوقت الراهن؟ ٤٧
خلفيّة لاهوتية متباينة ٤٧
نظرة جديدة ٤٨
الزيجات المختلطة ٤٩
الصلاة معًا ٤٩
مجالات أخرى ٥٠

الفصل الثامن: ماذا لا نستطيع أن نقوم به معًا لحدّ الآن؟ ٥١
بالنسبة إلى العماد ٥١
بالنسبة إلى الافخارستيا ٥٢
بالنسبة إلى قبول الأسرار ٥٢
بالنسبة إلى الزواج ٥٣

الفصل التاسع: هل يجوز الانتقال من كنيسة لأخرى ٥٦

خاتمة ٥٨